روايات أحلام

العروس الحمراء

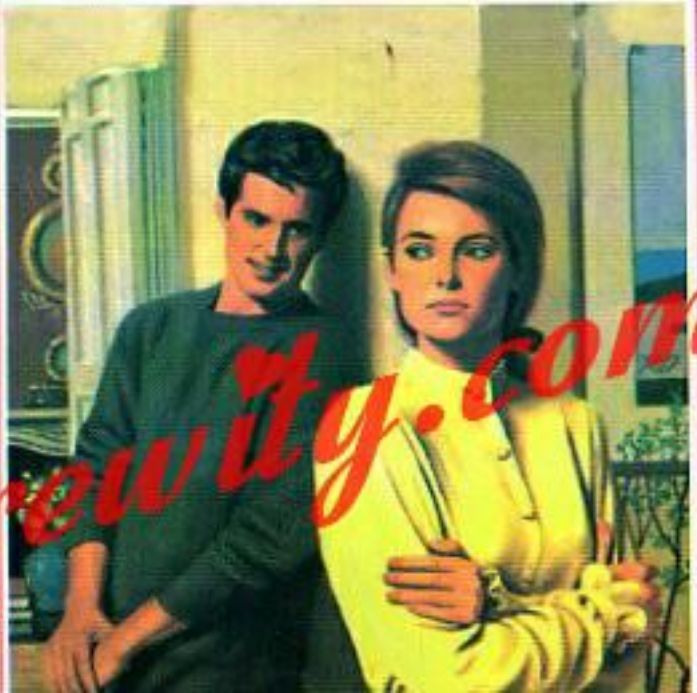

rewity.com

rewity.com

العروس الحمراء

هل تشعرين بالبرد ؟
فتحت عينيها متأوهة ... إنها تشعر بالبرد كثيراً ...
وأطبقت عينيها مجدداً .
- إذهب عني ... دعني أنام !
- ما اسمك ؟
- اسمي الدجاجة الحمراء ... هل لي أن أعود إلى النوم الآن ؟
قاومت لتفتح عينيها . ولكنها كانت متعبة ... تشعر ببرد شديد ...
لو عرفت المفاجأة التي تنتظرها . لما استعجلت كاندرة على الاستيقاظ ... ولكن لماذا يحدث لها هذا من بين جميع الناس ؟ في المرة الوحيدة التي تتصرف فيها بدون تعقل . تجد نفسها معزولة وسط الثلوج مع رجل غريب . يبدو أنه مجنون ... لكنه جذاب !

١ ـ دجاجة حمراء في بيته

تصاعد المرح في نفس كاندرة وهي تنظر إلى مرآة سيارتها.. قالت بصوت ميلودرامي ساخر موجهة كلامها إلى كليها براوني:

ـ إنها ليلة مظلمة عاصفة!

بدا براوني وكأنه فهم ما قالته مع تعبير قرف على وجهه لملاحظتها العابثة، لكن استياءه الواضح لا يمكنه أن يثبط من عزمها أكثر من الطقس الذي دفعها إلى تلك الملاحظة:

ـ أنا حرّة براوني! حرة! أتعرف منذ متى لم يكن أمامي لائحة بأعمال عديدة يجب أن أنجزها ولم أفعل؟ حسن جداً.. لا تزال تلك اللائحة موجودة في البيت على طاولة المطبخ مع الدهان وورق الجدران، وأنا هنا.. في كولورادو، لا شيء يشغل تفكيري أكثر من أن أمضي عطلة رائعة سعيدة. تصور.. ثلاث وجبات في اليوم يطهوها شخص آخر.. بينما أمضي أوقاتي في التزلج على سفوح «آسبن» المغطاة بالثلج.

أصدر الكلب أنيناً خافتاً.

ـ أوه.. أنت تعرف أنني لا أستطيع تحمل كلفة المصاعد.. لا تكن مفسداً للمتعة هكذا.. سيكون مأوى الكلاب مأواك في المرة القادمة التي أذهب فيها إلى أي مكان.

تكدر الكلب البني المحمر اللون الإيرلندي الضخم على المقعد الخلفي وأصدر أنيناً يدل على شعوره بالانزعاج، فمدت كاندرة يدها تربت على رأسه الأحمر:

ـ مهلك يا صاحبي.. أعرف أنك لا تحب الثلج.. لن تطول بنا الطريق.. حسب الخارطة، لا تبعد «آسبن» سوى ثمانية وثلاثين ميلاً عن «توين لايكس» التي مررنا بها منذ دقائق..

كانت لمخاوف براوني تبريراتها، فقد أمضى حياته كلها في أريزونا ويبدو هذا الطقس مخيفاً له.. رفرفت كاندرة عينيها وفتحتهما.. وراحت تنظر إلى رقع الثلج المتساقط أمام أنوار السيارة، التي أصبح لها تأثير المنوّم عليها، وإن لم تكن حذرة فسينتهي بها الأمر في الهاوية، وهذا ما لا يروق لها في الساعة السابعة ليلاً خاصة أنها لم تشاهد نافذة مضاءة منذ مغادرتها بلدة «توين لايكس» الصغيرة.. للمرة الأولى بدأ القلق يساورها وتساءلت عما إذا كان الأجدر بها أن تعود إلى توين لايكس لتمضي ليلها في الفندق، فإكمال رحلتها في الصباح هو التعقل عينه.

قالت بصوت مرتفع ساخر:

ـ وكاندرة فولكنر دائماً متعقلة.

وهذا ما ألغى على الفور مسألة العودة إلى الفندق.. ألم تقرر ترك كاندرة المتعقلة في بيتها مع ورق الجدران والدهان؟ هيا إلى آسبن إذن!

تجاهلت الأنين المتلهف وراءها ورفعت سرعة المساحات إلى أعلى درجة لها.. ولكن المساحات خاضت معركة رهيبة أمام الثلج وهذا ما دفعها إلى الإبطاء كثيراً. قادت ببطء في منتصف الطريق وكم تمنت لعدم وجود أي أثر للسيارات، وكادت أضواء السيارة الأمامية تخترق العاصفة، لتظهر لها الطريق الضيق الملتوي وأشباح شجر السرو الباسق على جانبي الطريق والجبال الشاهقة المطلة عليها وسط سواد مقبض للصدر..

قبل قليل، كان الثلج المتساقط بلوب فور ملامسته الإسفلت تحت إطارات السيارة الصغيرة، لكن الرطوبة الآن تتحول بسرعة إلى جليد.. هزت هبة ريح مجنونة فجائية السيارة فراح براوني يذرع المقعد الخلفي مصدراً أنيناً مرتفعاً.. وأحست كاندرة ببرودة قاسية لم يخفف من حدتها حرارة السيارة، وبدأت هذه البرودة تستقر في أسفل معدتها.

لمع إلى يمينها وميض نور باهت لوقت قصير عبر الأشجار، فأحست براحة كبيرة.. إنه برهان على أن ثمة إنساناً آخر يسكن هذه الغابة السوداء.. ولسبب ما، نسبت قلقها وهي تفكر بعائلة صغيرة يجلس أفرادها بدفء حول موقد نار مشتعلة يسردون القصص الممتعة. أو جد وأصدقاؤه، دون شك، في وضع مماثل.. وتستطيع تصور الدهشة التي سترتسم على وجوههم حين تفرع باب شقتهم للمتأجرة.

تحول أنين الكلب إلى نباح خفيف ملح مألوف..

ـ أوه لا براوني.. ليس الآن.. عليك الانتظار ريثما نصل إلى آسبن.. لن أجرؤ على التوقف الآن لتخرج.

استدارت قليلاً في مقعدها وراحت تربت على رأس الكلب الذي نبح بطريقة حادة محذرة.

ـ لن يطول الأمر.

عدلت كاندرة جلستها لتفاجأ بوجود حواجز على الطريق أمامها وكان الوقت قد فات.. داست بقوة على المكابح وسمعت صوت ضربة قوية خلف مقعدها أعلمتها أن براوني قد طار من مكانه، واستدارت السيارة جانبياً وبدأت تنزلق ببطء نحو الحاجز الخشبي، ثم استقرت في كومة ثلج ضخمة بحيث أصبح من المستحيل تحريكها إلى مكان آخر.. وعلى الرغم من الظلام الدامس، استطاعت كاندرة أن ترى أن الطريق وراء الحواجز لم تكن سالكة لشدة تراكم الثلوج عليها، فلا يمكن توقع المساعدة من هذا الاتجاه ولا من الاتجاه الذي أتت منه لو فكرت بهذا! ولم بحق الله الطريق مقفلة؟ ويبدو أنها مقفلة بشكل دائم.. إنها طريق عامة في الولاية فلمَ لم يوضع عليها لافتات تحذير؟

شتمت كاندرة موجة التمرد التي سيطرت عليها وحملتها إلى الجبال في كولورادو.. الكثير من سنوات الكبت، العديد من السنوات في حمل الأعباء الكبيرة والمسؤوليات.. كانت تثقل كاهلها إلى أن جاءت عملية دهان المطبخ المشؤمة بينما العالم كله يلهو، لتكون بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير،

وتفجر شيء في داخلها ليدفعها دون قدرة على المقاومة إلى التصرف بشكل مغاير تماماً لتصرفاتها المتعقلة العادية. ويبدو أنها الآن عليها أن تدفع ثمن تلك اللحظة الطائشة.

انحنى أنف مبلل في عنقها فذكرها أنها ليست الوحيدة التي تدفع الثمن، وقالت مرتجفة:

ـ حسناً يا صديقي.. قلت إنك تريد أن تتوقف.

وهي ترتجف داخل السيارة التي تبرد بسرعة، دست ذراعيها في كمي سترتها ووضعت القيد في عنق براوني.. وكانت الريح قد بدأت تهب بقوة فاحتاجت كاندرة إلى جهد كبير لفتح الباب. أخيراً نجحت، وتفاجأت بسماكة طبقة الثلج التي تغطي الأرض، ولم يُعجب براوني بالثلج غير المألوف ورفض مغادرة السيارة بالرغم من شدها العنيف على قيده.. وتوسلت:

ـ هيا براوني.. رحلة صغيرة حول السيارة ثم نعود إلى الداخل.

في حركة مفاجئة أدهشت كاندرة، قفز الإيرلندي من السيارة بنشاط كبير، فرماها رأساً على عقب في الثلج، وانتزع قيده من يدها وركض مختفياً في الظلام.

تعثرت كاندرة وهي تقف، وراحت تنفض دون جدوى الثلج الذي علق في ثيابها ثم صاحت بأعلى صوتها كي يعود الكلب.. لكن الريح بددت وكأنها تنتزع الصوت من حنجرتها وتبتلع صيحاتها.. أصغت لتستمع إلى نباح براوني لكنها لم تسمع سوى صفير الريح.. وتملكها خوف رهيب.. ماذا لو أن براوني لم يعد؟

نظرت إلى الثلج.. كانت آثار أقدام براوني تقود إلى الغابة مباشرة.. فأي نوع من المخلوقات المتوحشة تنتظره فيها؟ لقد قرأت كاندرة عن الأنخاخ التي يضعها الصيادون للدببة والقندس، وارتعبت من فكرة وقوع براوني في فخ كهذا، فدفعت بقوة مضاعفة إلى صوتها.. لكن الكلب لم يظهر، وبدأ وقع أقدامه يختفي تدريجياً تحت الثلج المتراكم.. وقفت كاندرة

محتارة ترتجف برداً وخوفاً، فسرعان ما ستمحو العاصفة كل آثاره وكأنها لم تكن.. يعتمد براوني عليها في معيشته ولو حدث له شيء فلن تلوم سوى نفسها.. لماذا لم تلف قيده جيداً حول معصمها؟

أصبحت آثار براوني أقل بروزاً.. بعد وقت قصير سيصبح من المستحيل ملاحقتها. نظرت بقلق إلى السيارة التي تمثل الأمان، وعلى الأقل القليل من الدفء. أما الغابة.. هناك قصص عن أشخاص ضاعوا فيها إلى أن تجمدوا وماتوا.. وقفت إلى جانب السيارة، ثم ترددت ويدها على مقبض الباب.. لا يمكنها التخلي عن براوني.. بإمكانها تتبع آثار أقدامه ولو إلى مسافة قصيرة في الغابة، وإن لم يسمع نداءها ويظهر، فستتبع آثار قدميها وتعود إلى السيارة.

خطت خطوتين إلى الأمام قبل أن تتذكر المزلاجين المثبتين على ظهر السيارة.. أكد لها المدرس الذي أعارها إياهما أن التزلج لمسافات طويلة هو بسهولة السير على القدمين.. وقال يعطيها التعليمات: «ارفعي قدماً إلى الأمام ثم الأخرى متوازنة على العكازين» وبدا لها الأمر سهلاً في غرفة جلوسها.. نظرت كاندرة إلى الثلج المتساقط بسرعة وقررت أن بإمكانها قطع مسافة أطول إن ارتدت المزلاجين. أمضت دقائق طويلة قبل أن تتمكن يداها الباردتان من تثبيت الحذاء الخاص بالزلاجتين الطويلتين الدقيقتين.. وانزلقت مرتبكة نحو الغابة.

بعد ساعة من هذا عرفت أن ارتداء الزلاجتين لم يفدها بشيء.. أصبحت ثيابها مبللة تماماً من الثلج المتساقط وبدأ جسمها يرتجف بشدة دون أن تستطيع السيطرة عليه، ولم تعد تهتم بمسح البلل عن عينيها وأنفها. لقد ثبت لها استحالة تتبع أثر براوني عبر الغابة السوداء بأشجارها الكثيفة التي كانت تهاجمها بأغصانها كالسياط.

حين اعترضت طريقها كومة ثلج سميكة اعترفت كاندرة بالهزيمة واستدارت لتعود إلى السيارة، لكن بضع خطوات إلى الوراء جعلتها تدرك بلاهة العمل الذي قامت به.. فقد محى الثلج المتساقط، إضافة إلى بطء

تحركها، آثار خطواتها تماماً، ولم يعد لديها أدنى فكرة عن الاتجاه الذي تقف سيارتها فيه. استندت إلى عكازي الثلج، وبدأت تشهق بقوة لتتنفس برئتين لم تعودا قادرتين على تحمل قلة الأوكسجين في ارتفاع غير مألوف لهما. كان رأسها يؤلمها بشكل لا يحتمل.. وكانت متعبة جداً.. ليت براوني لم يهجرها.. واخترق صوت أمها الخفيف المازح أفكارها.. كانت تقول:

ـ أيتها الإوزة السخيفة، لمَ تقفين هكذا في البرد؟ ادخلي! لقد صنعت لك بعض الهوب كورن ووالدك على استعداد لقراءة الفصل التالي من قصة «نداء البراري».

ـ أكره هذه القصة فجميع من فيها يموت.

قال والدها:

ـ يجب أن يموت المرء في وقت ما وتعرفين هذا كاندرة.

صاحت بعد أن أغمضت عينيها بشدة وغطت أذنيها بيديها:

ـ لا.. لا أريد سماعها!

ولم تسمع الرد، ففتحت عينيها لترى أن الباب اختفى وأبواها معه:

ماما.. أبي.. عودا.. لا تتركاني أرجوكما.. وبدأت بالبكاء.

قالت «تانا» بصوت أجش:

ـ ليس لديك وقت للأسى على نفسك.. بوجود الأولاد لتعتني بهم.

رفعت كاندرة رأسها بدهشة.. كانت «تانا» تقف هناك.. كتلة أمان بعريلتها البيضاء كالثلج، حتى أن كاندرة استطاعت أن تشم رائحة البسكويت في فرن المطبخ خلف جدتها: تانا!

ورمت نفسها إلى الأمام بشكل أخرق.. لكن جدتها اختفت تاركة مكانها شجرة سرو صغيرة مكسوة بالثلج:

ـ تانا.. لا تتركيني أنت أيضاً.. أرجوك.. أنا أشعر بالبرد.

وتلاحقت الدموع على وجهها.

ـ لماذا تبكين كاندرة؟ أنت لا تبكين أبداً! هل آذيت نفسك؟

تناهى إليها صوت كاتيا الهامس رغم صفير الريح وعويلها.

ـ لا.. أنا أشعر بالبرد فقط وبالتعب أيضاً.

ـ لم لا تستلقين قليلاً وتأخذين غفوة؟

وربتت كاتيا على فراش مرتفع مليء بالوسائد البيضاء.

أدارت كاندرة المزلاجين نحو أختها، وضحكت كاتيا.. مبتعدة عن الفراش.

صاحت كاندرة: «لا»! وقاومت لتمسك بأختها قبل أن تختفي.. فعلق المزلاجين في الثلج وجمدت ساقاها ككتلتي جليد.. وما إن وصلت إلى الفراش الذي يلوح أمام ناظريها حتى تحول شكله إلى صخر ضخم مليء بالثلج. وقبل أن تدرك خيبة الأمل الأخيرة هذه انزلق مزلاجها في حفرة قريبة من الصخرة، ووقعت إلى الأرض فاصطدم المزلاج بقوة بتلك الصخرة.. وأصبحت ساقها اليمنى مع المزلاج تحت الساق اليسرى.. ولم يكن لديها القوة لإصلاح وضعها المزعج.. لذا سترتاح قليلاً وبعدها..

فتحت كاندرة عينيها.. كانت كاتيا تقف على الفراش تنظر إليها:

ـ تشعرين بالبرد؟

ولم تعد تستطيع فتح عينيها أكثر من هذا.

أنف حاد، ساعة المشه.. حان وقت النهوض والاستعداد للعمل..

لكنها متعبة جداً.. فتحت عينيها متأوهة، كان براوني يقف قربها وينبح بحدة.

ـ براوني.. لا تحتاج إلى الخروج الآن.. لا زال الوقت ليلاً.. انتظر حتى الصباح.

إنها تشعر بالبرد كثيراً.. وأطبقت عينيها مجدداً. سيهتم أدجر بإخراج براوني.. وستنام هي بضع دقائق أخرى.

ـ أي شيء مكسور؟

لمَ يصيح أدجر؟ لقد أيقظه براوني بلا ريب.. إنها لا تتأخر في النوم كل يوم!

ـ أيمكنك الوقوف؟

- اذهب عني أدجر.. دعني أنام.

- ماذا تفعلين هنا؟

ضحكت كاندرة:

- لا تكن سخيفاً.. أين يمكن أن أنام غير هنا؟

- ما اسمك؟

لمَ يتغابى أدجر هكذا؟ أهو غاضب لأنها بقيت في البيت لتدهن المطبخ؟ ضحكت ثانية:

- اسمي الدجاجة الحمراء الصغيرة.. سأفعل هذا بنفسي.

- مهما تقولين يا حمراء.. لا أظن أن شيئاً تُحسر.

لماذا يستمر أدجر في الكلام عن الكسر؟ آه.. طبعاً.. شجارهما!

- كنت على حق، هاك، لقد اعترفت لك. هل لي أن أعود إلى النوم الآن؟

- بعد دقيقة يا حمراء.

حمراء؟ لن تدهن المطبخ باللون الأحمر! قاومت لتفتح عينيها، كان أدجر يدير ظهره لها يحرّك ناراً متأججة.. كانت تعرف أنه سيوقد ناراً، ما الذي فكر به ساعة دقت الباب عليه؟ قالت ناعسة:

- أراهن أنك دهشت لرؤيتي.

سنشرح له في الصباح.. أما الآن فهي متعبة.. وبردانة جداً.

• • •

الدفء.. الدفء نعيم! فتحت كاندرة جفنين مترددين ونظرت حولها لتجد غرفة معتمة غير مألوفة.. ولاح لها نور خفيف يتسلل عبر شق في نافذة مغطاة بالستائر.. وتحركت الستائر ثم سمعت الريح.. ريح خفيفة معوّلة بدت وكأنها تهز أساس الغرفة، واضح أن العاصفة اشتدت كثيراً وأصبحت عاصفة ثلج عاتية.. ما من أحد يتوقع منها أن تتزلج في عاصفة ثلجية.. وبإمكانها النوم طوال النهار.

دست كاندرة نفسها في الأغطية الدافئة بعد أن وصلت رائحة احتراق

الحطب إلى أنفها البارد.. وأملت أن يكون أدجر قد تذكر إغلاق صمام السحب فوق الوقد.. كانت تسمع صوتاً مصفراً قريباً من أذنها.. لا بد أن الريح تحاول غزو الغرفة عن طريق المدخنة.

وكيف لها أن تتذكر ما إذا كان أدجر قد دهش لرؤيتها ليلة أمس.. فبعد شجارهما، كانت آخر شخص يتوقع أن يراه.. من المضحك كيف أنه ظنها ستدهن المطبخ باللون الأحمر؟ ربما لا.. لقد كان غاضباً لرفضها المجيء معه إلى كولورادو.. دائماً الشهيدة.. كما صاح ساخراً. لم يفهم أن على شخص ما أن يدس أنفه باستمرار في سير الأمور.. ولو لم تفعل هي ما كان سيحل به ويكاتيا؟ لا.. لن تبدأ بالتفكير بمثل هذه الأفكار المشفقة على النفس.. إنها هنا لتمرح.. أدجر على حق. إنها تأخذ كل شيء على محمل الجد كثيراً.

إنها لنعمة من الله أن تبقى مستلقية في السرير.. دون ساعة منبه، دون وخز ضمير يحثها على النهوض ويدفعها إلى المطبخ لتحضير الفطور.. تمددت في الفراش الدافىء وحاولت التمطي.. لكن منعتها عن الحركة كتلة صلبة جاثمة على معدتها.. ولأول مرة سمعت صوت تنفس إلى جانبها.. لم يكن الصوت المصفر صادراً عن الريح.. بل عن كائن حي يشخر قرب أذنها.

إنه براوني.. لقد استغل إرهاقها ليلة أمس ونام في فراشها.. لا شك أن أرض الشاحنة أبرد مما هو معتاد عليه.. ولم تستطع حمل فراشه الخاص حين غادرت السيارة.. تجمد جبينها بتقطيبة حيرة من فكرة مزعجة راودتها.. يجب أن تتذكر شيئاً ما بخصوص سيارتها.. وتحرك براوني رامياً بثقله أكثر على ساقيها فطارت الفكرة لتحل السخط محلها.. يعرف براوني جيداً أنه لا يسمح له بصعود الأثاث خاصة فراشها.

دفعته عنها بوركها:

- ابتعد عن السرير.

لكن براوني تابع التنفس الثقيل دون انزعاج:

- انزل عن السرير! أيها الأبله الكبير.

- صباح الخير لك أيضاً.. أيتها الحمراء.

كان الصوت المنخفض المتسلل في أذنها كالصدمة الكهربائية.. أدارت رأسها بحدة غير مصدقة، ونظرت برعب إلى وجه غير مألوف يجلس على طرف السرير مقابلها.. شعر مشعث أسود يتدلى حتى حاجبين سوداوين كثيفين فوق عينين زرقاوين ناعستين تسبحان بارتفاع حرارة كاندرة لمجرد النظر فيهما..

كانت كاندرة مصدومة ولا تعي سبب وجودها بأطراف متصلبة هناك. قال متنهداً:

- يفترض بك أن تنهضي.. حمراء.

- لماذا تستمر بمناداتي بالحمراء؟

نظر إلى شعرها وابتسم:

- هذا واضح بالتأكيد.. ثم إنك ليلة أمس قلت لي إن هذا هو اسمك.

- ليلة أمس؟ من أنت؟

- ألا تعرفين؟

هزت رأسها دون كلام.. عاجزة عن كسر جاذبية عينيه الزرقاوين الساحرتين.. وبدا لها أنه يقرأ أفكارها إذ علت وجهه نظرة رضى ماكر فهمت كاندرة منها أنه معتاد أن يكون له مثل هذا التأثير على النساء.

لو لم تكن تحلم لضربته على وجهه.. لكن بما أنها.. أغمضت عينيها.. أمر لا يصدق كيف أن حلماً يمكن أن يبدو حقيقياً هكذا. لم يكن قلبها ينط بخفق بشدة، بل إنها تستطيع تصور الإحساس والاضطراب الذي يثيره فيها قربه منها..

تذكرت أنها رأت والدها وجدها ليلة أمس خلال العاصفة الثلجية، وأبقت عينيها مغمضتين بقوة لا تريد أن تعرف أين هي.. إنه يحاول خداعها لتعتقد أنها ميتة.. لكنها أذكى من هذا.. إنها في مكان آخر.. ولهذا

يرافقها إحساس غريب غير مألوف.. وداقء.. داقء جداً..

- أنا ميتة.. أليس كذلك؟

ضحك عالياً، ففتحت عينيها بدهشة.. هل يضحكون هنا؟ وتلاشت الضحكة عن وجهه ليحل مكانها نظرة قلق:

- كان هذا قريباً جداً منك.. ماذا كنت تفعلين بالتجول في الثلج في مثل ذلك الوقت من الليل في وسط اللامكان؟

أمضت النظر في وجهه ثم سألته:

- أتعني أنني لا أحلم؟ وأنك حقيقي.

أضاءت ابتسامة ساخرة تقاسيم وجهه:

- كنت حقيقياً في آخر مرة تفحصت فيها نفسي.

اجتاحت الصدمة جسد كاندرة.. ماذا تفعل في فراش رجل غريب؟ جلست بسرعة وأحست بموجة الاحمرار القرمزي تعلو وجهها.

قال متكاسلاً:

- آسف.. لأنك وجدت نفسك في فراشي.

- لماذا نحن.. نحن.. أنت تعرف.. من أنت؟

رد على سؤالها المرتجف الهامس:

- ريكس أونسلو.

إنه يكذب.. عرفت كاندرة هذا.. من هو؟ لماذا يكذب عليها؟

نظر إليها بمكر:

- أعتقد أنك لا تتذكرين شيئاً من ليلة أمس.. حمراء؟

- لا تنادني حمراء.

ثم فكرت بمعنى كلماته.. فابتلعت ريقها بقوة أمام الارتياب الرهيب الذي تصاعد في حلقها وأجبرت نفسها على السؤال:

- ما الذي حدث ليلة أمس بالضبط؟

فشلت ابتسامته المتجلدة في الوصول إلى عينيه.

- واضح ما هو الاستنتاج الذي وصلت إليه.

صدمتها كلماته فهرعت لتخرج من الغرفة، تلحقها ضحكة عميقة مجلجلة.

نظرت كاندرة من زجاج النافذة إلى الأرض البيضاء المغطاة بالثلج ووجدت أن لا مجال للهرب في أي اتجاه. . تفحصت محتويات الغرفة حولها. عليها أن تبقى هادئة، لا بد أن هناك تفسيراً منطقياً لكل هذا. . جلست بارتباك على كرسي خشبي مستقيم الظهر، تنظر بتوتر إلى باب غرفة النوم المفتوح. كان الضحك قد توقف. . تقريباً. هل كان يضحك لأنه يعرف إنها تحت سيطرته؟ هزت هبة ريح أخرى المنزل فابتلعت كاندرة شهقة خوف. . هل ستكون آمنة وهي تواجه العاصفة الباردة؟

كان براولي ينام بصمت على البساط القائم أمام الموقد البارد وهمست له بغضب قائلة:

ـ يا لك من حارس رائع!

ووكزته بإصبع قدمها:

ـ أعتقد أن هذا هو سبب القول بأن الكلب أفضل صديق للرجل.

تصلبت عند خروج الرجل من غرفة النوم. . نظرت إليه ووجدت أنه أطول بكثير مما تصورت. التوت شفتاه ما إن شاهدها جالسة على حافة الكرسي. ما زال يضحك منها. . وتلاشى خوفها أمام الغضب:

ـ ليس الأمر مضحكاً. .

أحس بغضبها، فحاول ابتلاع ضحكته.

ـ ليتك تستطيعين رؤية النظرة التي ارتسمت على وجهك.

صاحت بحدة:

ـ كان الأمر مضحكاً جداً. . أنا واثقة!

ـ اسمعي. . أنا آسف. . فلنبدأ من جديد. . اسمي ريكس أونسلو. . وما اسمك. . ؟

وقفت كاندرة مذعورة.

ضحك ضحكة مكتومة وتوقف ليستعيد هدوءه. والتفت إليها.

ـ إذا أردت أن تبدلي ملابسك فهناك كنزة وسروال من الجينز على السرير.

ابتعدت قليلاً عنه، وكشرت ألماً لاصطدام وركها بحافة طاولة صغيرة:

ـ أنا مسرورة لأن أحدنا يجد الموقف مسلياً.

قفز نحوها: «انتبهي!».

تراجعت أكثر لتفادي يده الممدودة، فاصطدمت بالصوفا ووقعت رأساً على عقب فوقها.

ضحك مرة أخرى وهو يرى كفاحها للوقوف. اقترب منها وجلس يتكاسل على حافة الصوفا، واستسلم لموجة ضحك. . نظرت كاندرة إليه بارتياب. . أيمكن لمجنون مهووس أن يضحك هكذا؟ وتنبه لنظرتها فحاول بجهد واضح السيطرة على ضحكه:

ـ أنا آسف. . أعتقد أن الموقف ليس مضحكاً بالنسبة لك.

ردت بحدة رافعة أنفها في الهواء:

ـ ليس كثيراً. أظن أنني سأرتدي غير هذه الثياب.

ومرت به نحو غرفة النوم. . لسوء الحظ لم تلاحظ أن براولي استيقظ ومدد جسمه كما يفعل كل صباح. . وعوى الكلب ألماً حين داست على إحدى قوائمه. . فتخلت عن كل وقارها وركضت إلى غرفة النوم صافقة الباب وراءها لتصد أصوات العواء والضحك التي سمعتها تلحق بها.

وهي تشتم من بين أنفاسها، ربطت شعرها عند مؤخرة عنقها برباط حذاء انتزعته من حذائه. . ارتدت ملابسه وحاولت تجاهل ألف سؤال كان يصيح طلباً للرد. . مثل: أين هي؟ كيف وصلت إلى هنا؟ أين هو أدجر؟ من هو الرجل الذي يدعو نفسه ريكس أونسلو؟ ولماذا كان معها في العربة. . ؟

عرفت أن الكنزة له فقد تدلت عليها، ولكنها لن تعترض على شيء يحميها من عنقها إلى ما بعد ركبتيها. . لكن الجينز كان مناسباً تماماً، إنه ليس له بل هو جينز نسائي. . ربما لصديقته دون شك. قطبت في صورتها

المنعكسة في المرآة. لماذا هي واثقة بأن لا وجود للسيدة أونسلو؟ نظرت حولها في غرفة النوم التي يدل كل ما فيها على لمسة رجل: من قصب الصيد، إلى الشباك، إلى القميص الأحمر المربع الذي مرت عليه سنوات وهو يرتديه.. مجموعة كؤوس للبايسبول، وقبعات رعاة بقر معلقة على مشجب نحاسي في إحدى الزوايا.

وضعت كاندرة فرشاة شعره من يدها.. يجب أن تخرج لمواجهته ولمعرفة ما الذي حدث.. ألا يجب عليها هذا؟ ابتعدت عن المرآة مسرعة مما تسبب بألم في عضلاتها.. لمَ هي متألمة هكذا؟ أم لعله سؤال آخر لا تريد فعلاً الرد عليه؟

قفز قلبها إلى حنجرتها حين سماعها طرقاً مرتفعاً على باب الغرفة، واضطرت لابتلاع ريقها مرتين قبل أن ترد بصوت متحشرج:

ـ ماذا.. ماذا هناك؟

ـ الفطور.

متى تناولت طعاماً آخر مرة؟ الهامبرغر في سانتاني؟ فجأة، رغم مخاوفها، أحست بالجوع.. انفتح الباب ليطل برأسه:

ـ هل أنت على ما يرام؟

هزت رأسها، وتوقف قلبها للحظة عن الخفقان.. من هو؟

قطب وهو ينظر إلى شعرها.

ـ لم أجد ما أربطه فيه.

ولامست رباط الحذاء بارتياب.

تجاهل تفسيرها وتقدم إلى خزانة قديمة من خشب الصنوبر، وفتح فيها درجاً أخرج منه جورباً من الصوف الرمادي.

ـ لن تتمكني من ارتداء أي من أحذيتي، لكن ستكفيك هذه.

تناولتها بخجل من يده الممدودة: شكراً لك.

رقصت عيناه ابتهاجاً:

ـ نحن نتحسن.. أنت لم تجفلي مني. أوه.. أنسى دائماً لون شعرك..

حمراء.

ـ اسمي كاندرة.. وليس حمراء.

غضّت الضحك زوايا عينيه:

ـ لكنني أحب مناداتك بـ «حمراء».

ـ لم يفكر والداي لسوء الحظ باستشارتك حين ولدت.

لا علاقة لهذه الحركات الغريبة في معدتها بعينيه الضاحكتين.. إنها وخزات الجوع. هذا كل شيء.

ـ كاندرة ماذا؟

ـ سأطلعك عليه حين تخبرني عن اسمك.

ـ لقد قلته لك: «ريكس أونسلو».

ـ قد أكون غبية بما يكفي لأمضي الليل في كوخك سيد «أونسلو».. لكن لدي خبرة كافية تخولني معرفة متى يكذب أحد عليّ.

مسحت كلماتها الضحكة عن وجهه.. وتفرس في وجهها بعينين ضيقتين فتسابقت قشعريرة خوف باردة على ظهرها للإحساس المفاجىء بالعدائية الموجهة ضدها.. إنه لمن الغباء تحدي هذا الرجل.

سألها بصوت متزمت:

ـ هل أنت معلمة؟

ـ لا.. بل.. أعمل أمينة مكتبة.

ضحك:

ـ هذا جنون.. كدت أصدقك.

وسار خارجاً من الغرفة.

سألت ساخطة وهي تلحق به إلى المطبخ:

ـ ولمَ لا تصدقني؟.. هذا صحيح.

وضع طبقاً من العجة باللحم على الطاولة وأشار إليها لتجلس.

ـ وأعتقد أن الصحافة وحدها هي التي أوصلتك إلى كوخي؟

قطبت:

- أنا لا أعرف كيف وصلت إلى هنا.

- هيا الآن حمراء.. منذ صدور ذلك القال، وأنا ملاحق حتى الموت.. وعلي الاعتراف بأن محاولتك كانت الأذكى حتى الآن.

- محاولتي؟

- لمقابلة واحد من أشهر العازفين في كولورادو.. تعابير وجهك البريئة مقنعة جداً.. لكن إن لم تأتي مترنحة في العاصفة ليلة أمس عمداً كي تعلقي في الثلج معي، فأنا إذن لا أفهم شيئاً.

كادت تختنق بلقمتها:

- يكفي هذا.. أنت مجنون.. في الخارج عاصفة للجبة هوجاء.. ولا فكرة لدي عن مكاني أبداً.. وفوق كل هذا أنا عالقة مع مجنون يهذي.

كبت خوفها وتظاهرت بشجاعة مزيفة أمامه.. وأضافت بطريقة أملت أن تكون مقنعة:

- أنا أحمل الحزام الأسود في الجيدو.. أتعرف هذا؟

ولم يكن لقولها التأثير المطلوب.. كان يشرب قهوته، وكاد يختنق لسماعه كلماتها:

- خبيرة في الجيدو، وأمينة مكتبة.. مزيج مثير للاهتمام.

ومسح القهوة المنسكبة:

- ألا يمكن أن تكوني مراسلة صحفية كذلك؟

- قلت لك إنني أمينة مكتبة.

- ولقد خرجت للنزهة ليلاً على مزلاجين، ومررت بمنزلي صدفة وصادفتك الماعب على بعد مئة ياردة منه.

- لقد حصلت لي حادثة وأنا في طريقي إلى آسبن.

- قولي لي قصة أخرى حمراء.. كنت أظن أن على أمينة المكتبة أن تجيد القراءة.

- وماذا يفترض بهذا أن يعني؟

- هناك لوحات على طول طريق «الاندبندنس باس» تقول إنه مقفل للشتاء. وأعتقد أنك ستتذرعين بعدم رؤيتها.

- بالطبع رأيتها.. وماذا في هذا؟

- ماذا في هذا؟ يجب أن تمري باندبندنس باس لتصلي إلى آسبن من هنا.

نظرت إليه مذعورة:

- ظننت أن تلك اللوحات تشير إلى بعض أماكن التزلج. من سمع من قبل بإقفال طريق عام بسبب بعض الثلوج؟

- هذه أكثر من بعض الثلوج كما اكتشفت بنفسك ليلة أمس.. أي نوع من الحوادث تعرضت لها؟

هزت كتفيها:

- لا شيء خطير.. لقد انزلقت سيارتي عن الطريق قرب الحواجز.

- من أين أنت؟

- أريزونا.

- هذا مفهوم، مجرد سائحة مستهترة.. أنتم أهل الشمال لا تظهرون الاحترام المطلوب لشتاء كولورادو.. أراهن أنك لم تحضري معك سلاسل للجليد حتى.

رفضت الاعتراف بخطئها:

- لا لزوم لها في منطقتي.

- وماذا كنت تفعلين بالتزلج في مثل تلك الساعة ليلة أمس؟

ركزت على قطع العجة بشوكتها مترددة في كشف مدى غبائها:

- كنت أبحث عن كلبي.

قال ساخراً:

- يبدو الأمر مثيراً للاهتمام.. وكيف فقدت كلبك؟

- حين أخرجته من السيارة كي.. يقوم بما يريد.. قفز هارباً.. وأنا.. قلقت عليه.

rewity.com

عبثت بطعامها قليلاً قبل أن تسأل:

- كيف وجدتني؟ ما أذكره هو أنني علقت تحت صخرة كبيرة وفكرت أن أرتاح قليلاً.

رد ساخراً:

- كان الكلب أذكى منك.. فقد جاء إليّ.. في البداية ظننته ضائعاً.. لكنه رفض الدخول وبدا مهتماً بأن أخرج أنا إليه.. أخيراً خرجت فنادى فوراً إليك.. وفي الوقت المناسب كذلك. كنت على وشك التجمد من البرد، ولولا أن هاتفي مقطوع لاتصلت بسيارة إسعاف.. لكنني اضطررت ما بوسعي لوحدي.

- التجمد؟ وما هو؟

- كان جسدك يفقد حرارته بسرعة لا يستطيع التعويض عنها لذا قررت أضعك في فراشي لكي تشعري بالحرارة التي تحتاجين إليها.

أحست بالحرارة تتسارع لتلون خديها:

- حين وجدتك.. كنت مشوشة مهذبن وبالكاد تستطيعين الوقوف.. لقد ظننت أنني شخص اسمه أدجر.

- إنه أخي.. كنت سأقابله في آسين.. وهل يتضمن علاج التجلد التحرش بالضحية وهي نائمة؟

وضع كوب القهوة على الطاولة بحدة:

- اسمعي حمراء.. لقد تحملت منك ما يكفي. لقد أنقذت حياتك ليلة أمس.. وأنا لست ذلك القذر المنحرف الذي يستغل امرأة فاقدة للوعي...

أحست أن المطبخ أصبح دافئاً بشكل لا يطاق.

- لا أعتقد أنني رأيت أحداً يحمر مثلك أبداً.

ردت بغضب:

- إنها ميزة كل حمراء شعر. يتوقع الكثيرون أن يكون لي طبع حاد، ولقد أطلقوا عليّ أسماء مستعارة مثل رأس الجزرة، الحمراء، ولطالما أردت

أن أكون شقراء.

هز رأسه:

- لا أستطيع تصورك شقراء.

- ولمَ لا؟ ألأنني لا أبدو من النوع الذي يمرح كثيراً؟

- بدأت أصدق جزءاً من الأسطورة..

نظرت إليه بارتياب، كان وجهه متجهماً إنما لا يخلو من الضحك البادي في عمق عينيه الزرقاوين.. وقالت:

- سوف أسألك ولو كرهت نفسي..؟

- عما إذا كان لحمراوات الشعر طبع مماثل لشعرهن.

وضعت مرفقيها على الطاولة وأراحت ذقنها بين ذراعيها.. وسألت باهتمام:

- هل كنت مضطراً للدفع إلى المجلة؟

قطب:

- لا أدري ما تعنيه.

- كي تعلن أنك أشهر المزاب وما إلى ذلك. أنا لا أرى هذا بنفسي، ولا شك أنك ثري جداً كي تحاول التعويض عن شخصيتك غير اللطيفة بهكذا طريقة.

ولدهشتها، أعجبته الفكرة بدلاً من أن تغضبه كما قصدت منها:

- يعتمد هذا على مقدار الثراء الذي تقصدينه.. أنا لا أملك اليخوت ولا القصور في اسبانيا.. لكنني أستطيع شراء ماسة بين حين وآخر.

لوحت بيدها صارفة النظر عن ثروته الهزيلة.

- هذا شيء تافه..! لقد كنت أريد قصراً في إسبانيا.

- آسف.. لقد وصلت إلى عتبة البيت الخاطئة.

- أوه.. لا أعتقد هذا.. هناك دائماً طريقة للابتزاز.

- والمعنى؟

- من يعرف كم يساوي صمتي عن نشاطاتك هذا الصباح بالنسبة لك؟

- آسف لخيبة أملك، فلا زوجة لي ولا حبيبة تغار.

مالت إلى الوراء وفتحت ذراعيها واسعاً:

- كنت أفكر بالصحف.. لقد أعطتني الفكرة حين اتهمتني بأنني مراسلة صحفية.. أستطيع أن أرى الخبر الآن.. وبخطوط عريضة: «لقد استيقظت في غرفة أشهر عازب في كولورادو!»

وابتسمت له ابتسامة انتصار ماكرة.

فكر بكلامها قبل أن يقول:

- شخصياً، أفضل أن يكون العنوان: «أمينة مكتبة تتسلل تحت الأغطية».

- وما رأيك بهذا: «الحقيقة العارية حول أشهر أعزب في كولورادو!»

- بل الأفضل: أمينة مكتبة؟ كتاب مفتوح لي.

كشرت:

- هذا حقاً فظيع.. ما رأيك «الأعزب الذي خبأ أمينة المكتبة».

- تعجبني أكثر لو ذكرت أن شعرها أحمر.

- الأعزب مع.. أرأيت سيكون العنوان أفضل لو كنت شقراء.

- أتعنين أن يكون «الأعزب مع الشقراء الممتلئة الجسم؟»

أحست بالاحمرار مجدداً وهي تفكر بجسدها النحيل.. وربما لم يلاحظ جيداً جسمها ليلة أمس أثناء انشغاله بإنقاذها.. أبعدت النظرة التي في عينيه هذه الفكرة عنها تماماً.. فهو يدرك الأفكار التي تدور في رأسها في هذه اللحظات. وسعت لتبعد تفكيره عنها.

- أنا لم أشكرك بعد على إنقاذك حياتي.. كان هذا لطفاً كبيراً منك سيد.. أوه هذا سخيف. ما هو اسمك على أي حال؟ لا أستطيع الاستمرار في مناداتك سيد أونسلو وأنا أعرف جيداً أنه ليس اسمك.

- ناديني إذن ريكس.. فهذا اسمي.

لاحظت أنه لم يصر على اسم أونسلو كاسم عائلته، فقالت:

- حسن جداً.. سنكون فقط ريكس وكاندرة.

***

٢ ـ من يقتل الآخر؟

سألها المزيد عن نفسها وهي تساعده في تنظيف المطبخ، فأخبرته أن والديها قتلا في حادثة نتيجة لاصطدام سائق سكير بسيارتهما، فانتقلت جدتها لتعيش مع الأولاد الثلاثة، وكانت كاندرة أكبرهم سناً وتتابع دراستها الثانوية حينها. وذكرت لريكس أن جدتها ماتت مؤخراً، منهية بذلك صراعاً مزمناً مع المرض وأن كفاحها للعناية بالجدة أضيف إليه عناء زيارة للممرضات المستمر، والخوف من موتها المحتمل وإرسال المحكمة لكاتيا إلى منزل بديل، ثم الارتياح عندما تمسكت الجدة بالحياة بضعة أشهر حتى أتمت كاتيا يوم مولدها الثامن عشر.

لم تتذكر كاندرة متى لم تكن الحياة لها مجرد كفاح مستمر.. كان والدها معلماً لذا لم يستطع أن يوفر كثيراً قبل أن يموت.. وتوفيرات جدتها الضئيلة صرفت على علاج مرضها الطويل.. لحسن الحظ، تولت شركة التأمين العناية بالبيت الصغير الذي يعيشون فيه. إنما بالرغم من هذا، كان على كاندرة خدمة الطاولات، السير مع الكلاب، طبع أوراق الفصول الدراسية، مجالسة الأطفال، وأي عمل غريب آخر وقع في يدها.. بالتوفير والاقتصاد في المصاريف قدر المستطاع، تمكنت من دخول الجامعة.

لم تكن الفرد الوحيد في العائلة الذي قام بالتضحية.. فرغم مرضها كانت الجدة تساعدها كثيراً، تقتصد في ميزانية الطعام إلى مدى غير معقول.. وعمل أخواها منذ صغرهما لأجل كل بنس من مصروفهما وقاما بحصتهما في أعمال المنزل والعناية بجدتهم المحبوبة.. نادراً ما كان أحد

منهم يتذمر، لكن كاندرة تعرف أن أدجر كان يكره العمل في مطبخ الجمعية الأخوية ليسدد رسوم المدرسة التي لا تغطيها المنحة الدراسية.. وأن كاتيا كانت تتشوق إلى ثياب تشتريها من محل، بدلاً من تلك التي تخيطها لها كاندرة. وكان إذعانهما للنظام المتقشف الذي تفرضه عليهما الظروف يمزق قلب كاندرة حين تشاهد طريقة الصرف الحر لأصدقائهما، وبذلك جهدها لتحميهما من حقائق الحياة الخشنة بألا تريهما الفواتير المتراكمة التي تتطلبها العناية بالجدة، وبإخفاء مخاوفها من أنهم قد يضطرون إلى رهن منزلهم، والمخاطرة بخسارته في النهاية.

سأل ريكس:

ـ لم تقولي لي في أي جزء من أريزونا نعيشين.

راوغت في الرد:

ـ سأجفف بدلاً من أن أغسل.

وسارعت إلى إبعاد المقلاة التي كانت تنقط فوق أرض المطبخ.. لم يغب عن انتباهها أن ريكس لم يخبرها شيئاً عن نفسه.. وهي بدورها حذرت من ذكر اسمها الأخير ومكان إقامتها في «توسكون».. سوف تثق به بقدر ما يثق بها فقط.. وقبل أن يكرر سؤاله غيرت الموضوع بسرعة:

ـ إن كنت تكره فكرة تصيفك بالأعزب الشهير هكذا فلمَ وافقت على المقال؟

ـ ومن قال إنني وافقت؟ لم يزعج أصحاب المجلة أنفسهم بسؤالي.. لقد اختاروا عشرة شبان ثم كتبوا حفنة أكاذيب حولنا في الصحيفة، كلها إشاعات واختلاقات.. خاصة بالنسبة لي.

علقت كاندرة المنشفة عند انتهاء تنشيف آخر الصحون:

ـ ألا يمكنك مقاضاتهم أو ما شابه؟

ـ لم يسيئوا لي الفضيحة أو نشروا أكاذيب.. ما فعلوه هو جمع معلومات عن عاداتي الشخصية وإذاعتها إلى العالم.. ولقد أوضح المقال أن أياً من المواضيع لم يخترعها المؤلف، وأن كل ما نشر حول تفتيشي عن زوجة هو مجرد

رأي.. ولسوء الحظ كان رأياً صدقته معظم الشابات العازبات في كولورادو.. أو هذا ما بدا لي.

علقت بصوت منخفض:

- يا لها من دفعة لغروورك.

وخفت به إلى غرفة الجلوس حيث رد:

- بالعكس.. إحصاء عدد النساء اللواتي لا ينظرن إليّ سوى كتذكرة طعام مجاني، أمر محبط جداً.

- أنت تقسو على الجنس الآخر.. أليس كذلك؟

- أتظنين هذا؟ كنت ألتقي بالكثيرات ممن يتعثرن أمامي أو يدعين أنهن ظننّ سيارتي سيارتهن، وتدفقت طلبات العمل على متجري.. وافتقاد جيراني من عدد النساء اللواتي كن يقدن سياراتهن ببطء من أمامي، هذا دون ذكر الآلاف ممن كن يسرن بصحبة كلابهن في شارعنا.. وكنت أضطر إلى تسوق حاجياتي عبر الهاتف وأتعرض لمضايقة أكثر من واحدة في السينما، وأصبح مطعمي المفضل محجوزاً بأكمله بالنساء العازبات بحيث لا أستطيع الحصول على طاولة.. وغزت النساء حياتي كلها وهدف واحد في رأسهن.. أن تصبح إحداهن السيدة واردن.. أعني أونسلو.

نظرت إليه متسائلة وهو يتلعثم باسمه.. وقالت:

- حسناً.. هذا يوم سعدك كاندرة.. أونسلو ليس له الرنين الذي أرغب في أن يكون لاسمي بعد الزواج.

- أجد صعوبة في أن أصدق أن شرطك المسبق على أي زوج هو الرنين المناسب لاسمه.

- بما أنك كما يبدو، الخبير بهذا الموضوع، فأخبرني ما الذي يجب أن أبحث عنه.

استند إلى الخلف مهتماً بجدية بملاحظتها العابثة:

- لو كنت امرأة أولاً، سأريد رجلاً يعاملني جيداً.. كل المال في العالم لا يعوض عن رجل يضرب زوجته أو يعاملها بازدراء.. سأريد رجلاً

يضحك معي، يناقشني ويحترم رأيي.. صديق ورفيق، شخص أكبر معه في السن وأكون مطمئنة.

- وماذا عن الحب؟

هز كتفيه:

- الحب شعور سريع الزوال. إذا كان جزءاً من صفقة كاملة، فلا بأس.. لكن الصداقة والاحترام أكثر أهمية.. وبإمكان المرء أن يعتمد عليهما.

أجفلت كاندرة لعمق الإحساس في صوته، فقالت بلهجة أكثر خفة:

- لم أكن أدري أنني عالقة في الثلج مع «مستشار القلوب الحائرة» في عجلة ما.

ابتسم لها:

- لا أستطيع تصور أن امرأة مثلك تحتاج إلى مثل هذا الإرشاد.. ولا شك أن لديك مئة رجل ينتظرون في الصف.

ابتلعت كاندرة ريقها وهي تبتسم للإطراء المهين.

- براوني وحده.. حبي الأوحد.

- أخبريني المزيد عن براوني هذا.. ماذا يعمل ليعيش؟

- في الواقع يعمل أقل ما يمكنه. أنا أعيله.. وهو يعيش معي.

عند سماع اسمه، رفع براوني رأسه ونبح بحدة.. وضحك ريكس.

- تعال براوني.

- أيها الخائن.

وتقدم براوني إلى حيث يجلس ريكس على الصوفا وألقى رأسه على ركبته. فراح ريكس يملس وبر رأس الكلب.

- أنتما اثنان متناسبان.. لقد سمعت عن كلاب تماثل أصحابها.

- هل تعني أن لي أنفاً طويلاً؟

- وهل تعتبين أن الشعر الأحمر لكليكما هو صدفة؟

- لا.. لقد أهدتني جدتي براوني بمناسبة يوم مولدي حين بلغت

السادسة عشرة.. كانت كذلك حمراء الشعر، وتعرف كم أكره شعري الأحمر.. وكان براوني وسيلتها لتقول لي إن الشعر الأحمر ليس سيئاً.

- تبدو لي سيدة لطيفة.

- أجل، وأنا أفتقد إليها كثيراً. لقد مضى على موتها ستة أشهر.. لكنني لا زلت..

واختنق صوتها لتذكرها معاناة جدتها الشديدة في أواخر أيامها، بحيث أن حزن كاندرة عليها خفف معرفتها أنها لم تعد تتألم. لقد شاركت الجدة الحنونة في رعاية الولدين رغم مرضها، ودعمت كاندرة بالحب والتضحية.. وكما كانت كاندرة الأساس الذي يعتمد عليه أدجر وكاتيا، كذلك كانت جدتها الصخرة التي تستند إليها كاندرة.

قال ريكس:

- إذن لم يكن هناك سواك والصغيرين.. لكنني لا أفهم لِمَ خلطت بيني وبين أخيك الصغير حين وجدتك.

ردت ببطء:

- الحقيقة.. أدجر أصغر مني بسبعة عشر شهراً وأميل إلى نسيان هذا.. وربما هذا ما تسبب بالشجار الذي بدوره تسبب بكل هذه الورطة.

- شجار؟

تقدمت كاندرة إلى النافذة ونظرت إلى الخارج، إلى عالم أبيض برمته.

- أدجر وكاتيا، وهي في الثامنة عشرة، اتهماني بأنني متسلطة.. ودار شجار كبير حول هذا، وكانا لا يزالان غاضبين حين سافرا.

انضم إليها قرب النافذة:

- مع ذلك، سوف يقلقان إن لم تصلي إلى آسبن.. فلا مجال لمعرفة متى ينجلي هذا الطقس لتتمكني من الذهاب.

هزت كاندرة رأسها:

- أدجر وحده في آسبن، وهو لا يتوقع قدومي، وكاتيا ذهبت مع صديقتها في المدرسة إلى كاليفورنيا لزيارة أهلها وستغيب أسبوعاً.

لاحظت الشك في عينيه فأردفت:

- ليس الأمر ما تفكر به.. لقد دعاني أدجر للانضمام إليه وأصدقائه.

- ولماذا لم تذهبي معهم؟

- السبب واحد من تلك الأشياء السخيفة، كان أدجر وكاتيا يقولان إن منزلنا يبدو مهملاً مقارنة مع بيوت أصدقائهم لذا نويت أن أفاجئهما.. فاشتريت ورق جدران ودهان، ظناً مني أن بإمكاننا ترتيب البيت خلال العطلة.. لكن المفاجأة كانت لي، لقد أتيا إلى المنزل تلك الليلة وهما متحمسان ومتلهفان لإخباري عن خططهما.. ولقد جُرحت مشاعري لأنهما يريدان قضاء العطلة لوحدهما بدلاً من قضائها كعائلة.. وخاب أملي من نظرتهما إلى فكرتي كمهمة مرهقة أخرى.. وحاول أدجر إقناعي بالذهاب للتزلج، لكنني عاندت وأصررت على أن شخصاً يجب أن يبقى في المنزل ليعمل.

قال ريكس:

- لقد بدأت أفهم سبب إشارتك إلى الدجاجة الحمراء في وقت سابق.

- أجل.. أردت معاقبتهما وعقدت العزم على القيام بكل العمل بنفسي لأجعلهما يعانيان وخز ضمير رهيب. كان أدجر غاضباً مني حين غادر المنزل.

- إذن كيف حدث وتوجهت إلى آسبن؟

- بدأت أدهن المطبخ يرافقني إحساس بالأسى على نفسي.. مع كل ضربة فرشاة، كنت أفكر بسبب آخر يدعو أدجر ليكون ألطف معي، ولتكون كاتيا أكثر امتناناً. فجأة، رأيت نفسي كما يراني بلا ريب.. نقاقة، مفسدة للمرح، متعبة.. أوه.. أجل، لقد دعياني بكل هذه النعوت.. وكانا على حق.. ما كان يجب أن أضع خططاً لهما دون مشاورتهما.. إذا كانت إعادة تأهيل المنزل شأناً عائلياً، فمن حقهما المساهمة في اختيار اللون وأوراق الجدران.. ولم يكن دهن المطبخ ضرورياً في هذه العطلة بالذات.. لقد كان يلزمه دهان جديد منذ سنوات.. وأسبوع آخر

لن يضير أحداً.

- أهذا ما جعلك تعودين إلى صوابك وتقررين الانتظار ليساعداك، بدلاً من القيام بالمهمة لوحدك؟

- بل أكثر من هذا.. لقد اعتراني يأس نسيت كيف يكون المرء شاباً ويتمتع بالحياة.. ورأيت نفسي أكبر سناً واكتشفت أنني لم أعش حياتي حقاً.

- هكذا أنهيت دهان المطبخ ثم قررت الانجاه إلى آسبن.

- ليس بالضبط.. لحظة اتخذت قراري، أعدت الغطاء على علبة الدهان ووضبت حقيبتي. اقترضت ثلاجتين، وركبت السيارة مبتعدة.. حتى أنني لم أتوقف لتنظيف الفرشاة بل رميتها في صندوق القمامة.

رمى ريكس رأسه إلى الوراء مجلجلاً بضحكة عالية لاعترافها، وقال ممازحاً:

- حين تتمردين تذهبين إلى أقصى مدى، أليس كذلك؟ ما أفهمه من كلامك هو أنك هربت من البيت، وانظري ماذا حدث. ها أنت عالقة في الغابة مع شخص غريب ولا أحد يعرف أنك مفقودة.

نظرت إليه خائفة.. هذا بالضبط ما كانت تفكر به.. حاولت إخفاء الذعر الذي قبض على خناقها، فابتعدت عن النافذة.. لمجرد أن هذا الرجل طويل وسيم ويتمتع بنعمة الفتنة، لا يعني أبداً أنه لا يمكن أن يكون مهووساً أو قاتلاً.. ألا يُعرف هؤلاء عادة بفتنتهم؟ ثم ما الذي تعرفه عن حالات التجمد؟ ومن يعرف ما هي الأشياء السيئة التي فعلها بها وهي فاقدة للوعي؟ ضمت ذراعيها أمامها.. وارتجفت.

سأل:

- أتشعرين بالبرد؟ سأزيد حرارة التدفئة المركزية.

عبرت الغرفة باتجاه المطبخ.

- لا.. لا.. أنا بخير.. حقاً.

وابتسم لتطمئنها.. لماذا بدت ابتسامته جذابة منذ لحظات بينما تظهر الآن خبيثة؟

قال:

- لا يبدو أن هذه العاصفة ستتوقف قبل وقت طويل.. وسيكون التوقف غير مريح هنا إن استمريت في التفكير بأنني سأقطع عنقك وألتهم رأسك.

رفرفت عينيها ارتباكاً وسألت:

- ما الذي يعطيك مثل هذه الفكرة؟

- هذا واضح تماماً.. ولحسن حظك أنا لا آكل سوى امرأتين في الشهر الواحد.. ولقد أنهيت حصة شهر كانون الأول.

نظرت كاندرة إليه باضطراب:

- لو أن هذه الفكرة بعيدة الاحتمال.. فلماذا عرفت فوراً بما أفكر؟

- كانت نظرة الذعر في عينيك أول الدلائل. والثانية ساعة ارتددت فجأة عني.. أما الثالثة..

تنهد بصوت مرتفع:

- .. لا.. لقد أخطأت الدرج.. سكاكين الجزار في الدرج الأيسر.

انتزعت كاندرة يدها إلى الوراء وكأنما لذعت بالنار.. ظنت أنها كانت ساكرة في حركاتها، ونظرت بقلق إلى براوني الجالس أمام النار.. ربما كان هناك تيار خفي من المشاعر المحذرة.. ربما أحس بمخاوف كاندرة. على أي حال قفز الكلب واقفاً على قوائمه وهمهم بصوت منخفض.. ثم تقدم نحو ريكس ودس أنفه في يده، فقالت كاندرة مرتجفة:

- يريد الخروج.

مد ريكس يده ليهرش ما بين أذني الكلب، وهو ينظر إلى كاندرة متعجباً:

- على الأقل يثق براوني بي.. ويبدو لي كلب حراسة ممتاز.

- وهذا ما يثبت أنك لا تعرف شيئاً عن الكلاب، إذ يمكن لبراوني أن يسلم مفتاح الخزانة لأي لص إذا هرش له بين أذنيه.. أو ربما تعرف أشياء أكثر مما تصورت عن الكلاب.

- لماذا أعتقد أن هذا الاكتشاف علامة سوداء في سجلي؟ فمعظم النا
يعتبرون الولع بالكلاب ميزة إيجابية.

لحق بيراوني إلى الباب ثم ربطه إلى حبل طويل قبل أن يتركه يخرج.

دخلت هبة ريح عاتية إلى الغرفة، حاملة البرد إلى أوصال كاندرة. إ
على حق في شيء واحد.. كائناً من يكون وما يكون فقدرها أن تبقى هنا م
في هذا المنزل الريفي إلى أن تتوقف العاصفة ويزول خطرها.. أخذت نف
عميقاً.. وقالت:

- لم تخبرني عما تفعله حين لا تكون هارباً من النساء.

رفع حاجباً ساخراً:

- وهل اقتنعت بأنني لست قاتلاً؟

- سأعطيك حق البراءة لوجود الشك.. على أي حال أنت محق في
عالقان هنا معاً.. ومن الأفضل لنا أن نستفيد قدر المستطاع من الموقف.

فهمت من التواء فمه كيف يمكن إساءة تفسير قولها، فسارع
لتضيف:

- عنيت أن نكون لطفاء مع بعضنا..

وتلاشى صوتها أمام نظرة الخبث على وجهه وسألها:

- إلى أي مدى من اللطف تفكرين؟

ردت بحدة:

- عنيت أن نكون مهذبين.. وتعرف هذا.

- الأفضل أن تحذري حمراء، فأطباع شعرك الأحمر تظهر مجدداً.

صاحت:

- شعري الأحمر ظاهر دائماً.. وواضح أن عجرفتك وفظاظتك
الصعب إخفاؤهما مثل شعري الأحمر تماماً.

نظر إليها موافقاً بإعجاب:

- أنت مقاتلة! ويعجبني هذا.. لا يروقني الأشخاص الذين لا
لهم على مواجهة الأزمات.. وأكره أن يحجزني الثلج مع جبانة تخشى الو

وهي ترتجف خوفاً أو تطلب أن أفعل شيئاً لأعيدها إلى المدينة.. وأقدر لك
تقبلك العاقل للظروف.

قالت بصوت مرير ووعي بأن وجودها في هذه الورطة هو من صنعها
هي فقط:

- لو كنت متعقلة لما كنت هنا الآن.

ضحك ريكس:

- لعلّ شيء من الحقيقة في قولك هذا.

سمع صوت الكلب خارج الباب فسارع إلى المطبخ وأخذ منشفة ثم فتح
الباب لبراوني. مرة أخرى دلف الهواء البارد إلى داخل الغرفة مصفراً
مزمجراً، وأمسك ريكس الكلب من طوقه بيده وأغلق الباب بقدمه ثم راح
يجففه بشدة.

قالت بلهجة حسد:

- براوني معجب بك.. لكن بالطبع «الكلب» الإيرلندي مشهور
بالغباء.

لمعت عيناه:

- هذا مشهور جداً.. وقيل لي إن السبب هو الشعر الأحمر الذي يحرق له
دماغه.. فما رأيك؟

- رأيي.. إن كان مقدراً لشخص منا أن يقتل في هذا الكوخ قبل انتهاء
العاصفة.. فسيكون أنت.

اقترب منها:

- ما رأيك بأن نعلن وقف إطلاق النار؟

- حسن جداً.. هدنة.

- للوقت الحاضر فقط.. بالطبع.

- ماذا تعني؟

- ما إن يجلو الطقس حتى أكون حراً في أن أخنقك أو أقطع عنقك، أو
أفعل أي عمل شرير اعتدت أن أفعله بضحاياي.

رفضت كاندرة أن يخيفها أو يرهبها . . وقالت :

ـ اتفقنا . . وبالطبع يجري هذا علينا معاً . . وسأكون حرة في إيقاعك في شباكي وفخ الزوجية .

ظل واقفاً قربها :

ـ يمكنك أن تجربي . . .

كانت نظراته تأسرها وتشعرها بالتوتر ، ولكنها لم تبتعد مقتنعة نفسها أنها لا تريد تكدير هدنتهما الهشة؟

رغم أن كاندرة تبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً ، إلا أنها لا زالت بريئة كفتاة صغيرة في مسائل الحب والغزل . . وربما أحس ريكس بسذاجتها البريئة ولذلك كانت نظراته اليها حانية ، تاركاً لها مجال الاطمئنان إلى أنها تستطيع أن تشعر بالأمان معه .

لكن ما إن طالت نظراته إليها حتى أدركت إلى أين سيقودها فضولها . فتراجعت :

ـ أنا . . أنا . . آسفة .

ـ لماذا؟

ردت بجنون :

ـ لماذا؟ إذا كنا سنبدأ بغزل العيون بعد الفطور مباشرة فماذا سنفعل بعد العشاء؟

قال ، بصوت هامس :

ـ سنفعل الشيء عينه إن كنت تنوين إيقاعي في شراكك .

ارتجفت كاندرة وقالت بحدة :

ـ كفى ، لا تقل هذا .

نظر ريكس إليها قليلاً ثم ابتعد عنها :

ـ لا أستطيع أن أفهم حقيقتك . . لحظة أنت البريئة الساذجة ، ولحظة أخرى كأنون مشتعل . . بعدها مباشرة تبدين كمراهقة خرقاء . . ما هي حقيقتك كاندرة؟

هزت كتفيها ، مبتعدة عنه :

ـ كل هذا معاً . . كما أعتقد . . ودون شك أنت معتاد على نساء أكثر حنكة .

ـ دون شك . . ومغازلة أمينة مكتبة تجربة جديدة لي . أنت لا تتناسبين مع صورة العانس الكبيرة في السن .

وضحك بصوت منخفض سبب لها سعادة غريبة . . وأكمل :

ـ وهكذا أفضل . . .

رفعت شعرها إلى الوراء متجاهلة ملاحظته :

ـ أنت إذن لم تزر مكتبة منذ زمن طويل . إذا كنت تظن أن أمينة المكتبة ليس لها عمل سوى التجوال وطلب الصمت من الجميع .

نظر إلى شعرها الأحمر شارداً ، وهو يقول :

ـ هذه غلطتي . . لم أكن أعرف ماذا يفوتني .

ثم نظر للحظات في عينيها الأمر الذي أثار اضطرابها مجدداً . . أخيراً أبعد عينيه عنها فحاولت إعادة السيطرة على مشاعرها وسألت :

ـ ما الذي حدث للمعاهدة؟

رفع حاجباً متسائلاً :

ـ لا أعتقد أن شيئاً حصل لها .

ـ لقد أخليت بها وأنت تغازلني وتحاول التودد إليّ .

ـ لم نتفق على ذلك . . لقد وعدت فقط ألا أقتلك .

ـ لقد وعدت ألا تفعل أي شيء شرير .

نظر إليها مفكراً :

ـ أرجو أن تستمر العاصفة طويلاً . . أظن أنني سأحتاج إلى وقت طويل لأقرر .

وقف ليسير في الغرفة :

ـ ثمة أعمال كثيرة على مكتبي يجب أن أقوم بها ، وكتب كثيرة في الخزانة إذا كنت مهتمين بالقراءة .

فتح حقيبة أوراق وأخرج قلماً ثم بدأ في تقليبها.

ساد الصمت لحوالي الخمس دقائق لا يقطعه سوى طقطقة قلمه.. وانشغلت كاندرة في التفكير بملاحظته الغامضة إلى أن أخذ الفضول منها كل مأخذ وسألت:

- تتخذ قراراً بخصوص ماذا؟

قطب ريكس في وجهها، واتضح أن أفكاره كانت مركزة على الأوراق أمامه: «ماذا؟».

- قلت إنك بحاجة إلى وقت طويل لتتخذ قراراً.. بخصوص ماذا؟

التوت زاوية واحدة من فمه.

- كنت أتساءل كم سيمضي من وقت قبل أن تسألي.

- خمساً!

مال إلى الخلف وراح يتفحصها بعينين زرقاوين باردتين وهو يربت على شفته بقلمه:

- بخصوص الطريقة.. الطريقة للخلاص من أمينة مكتبة، جامدة، سيئة الطباع، حمراء الشعر.

- للخـ.. للخلاص منها؟

همس بشكل دراماتيكي: «القتل كريه!».

قالت بارتياب قلق: «أنت تمزح».

- حقاً!

لن تسمح لخيلتها بأن تتغلب على عقلها.. بالطبع هو يمازحها.. وتقدمت متصلبة تفتش في مجموعة الكتب الحديثة المنتقاة إلى أن وجدت كتاباً قديماً مفضلاً لديها، فتكورت في المقعد الكبير في الزاوية.. لكنها ظلت تتجه بانتباهها من حين لآخر إلى الرجل الغامض الجالس قبالتها عبر الغرفة.. بدل رفضه العنيد للكشف عن اسمه الحقيقي على أنه رجل لديه ما يخفيه.. لكنها كانت تعي أنه أنقذ حياتها بمعاملته لها ليلة أمس، ولم يبدُ لها صاحب نفوذ.. ما الذي يجعلها تظنه هكذا؟ لم يقل هذا أبداً. في الواقع لم

يقل سوى القليل عن نفسه.. وأعجبتها فكرة مفاجئة: لو أنه حقاً يُعتبر واحداً من أشهر عازفي كولورادو، فبعض النساء قد يعتبرن احتجاز الثلج لهن معه فرصة ثمينة ولن يتأثرن بإغفاله لهن وانشغاله بأوراقه، وهذا ما يقنعها بأنه ليس مهووساً أو قاتلاً مجنوناً.. إنه فقط يحاول إزعاجها بمزاحه.. وهي حتماً تتخيل تلك الأفكار المخيفة نظراً لإدمانها على قراءة القصص الغامضة إذ بسببها يبدأ المرء بابتداع معانٍ شريرة من أبسط حركة بريئة.

نظرت حولها في المنزل الكبير.. ألواح خشبية ضخمة، جدران من ألواح ناعمة، مدفأة حجرية كبيرة.. الكثير من المقاعد الكبيرة وصوفا متسعة.. فوق رف المدفأة لوحة كلب بلون الصدأ ينظر بتشوق إلى سرب من الإوز البري على شكل رأس رمح.. وكان الكلب يشبه براوني كثيراً فتقدمت كاندرة لتتفحص اللوحة.

قال ريكس:

- هذا «رستي» هو وجدي كانا أفضل صيادي الطيور في المنطقة.. هذا حسب قول جدي.

- وهل تصطاد أنت؟

- لا.. لم أهتم يوماً لهذا.. أفضل صيد السمك، فهو وهذا «الكابين» ملجآن للهروب من العالم الخارجي.

- الهروب.. ! يا لها من كلمة معبرة. لو أنك تعرف كم مرة تشوقت للهروب من وضعي الممل.

- إلى قصر في إسبانيا؟

- أو إلى كوخ في برمودا.. الريتز في باريس وفي الربيع إلى جزيرة استوائية.. بما أن الهروب من أي شيء مستحيل، فلماذا لا نحلم بمكان غريب جداً؟ أتعرف.. هذه أول مرة أبتعد فيها عن الكو.. عن المنزل، منذ سنوات.. لا بد أنه رائع أن يبتعد المرء عن بقية العالم.

- رائع.. لكنه مستحيل تقريباً.

ـ اعتقد أن هذا تذكير لي بأنني متطفلة؟

ضحك ريكس:

ـ أبداً.. لقد عنيت فقط أن مسؤولياتي نادراً ما تسمح لي بالسفر بعيداً. في الواقع أحس بالارتياح لوجودك معي.

سألت متعمدة:

ـ كيف تتمكن من الهرب إلى هنا دون أن تلحق بك قطعان النساء المهووسات بالزواج؟

ـ أنت مصممة على جعلي أبدو أبلهاً مغروراً لمجرد أنني استنتجت خطأ كيفية وصولك إلى هنا.. أليس كذلك؟

ردت بسرعة:

ـ لا أستطيع جعلك تبدو أبلهاً مغروراً.. فأنت الذي ادعيت أن ملاحقة النساء لك سجنك في دارك.

ـ لا أظن أنني ادعيت هذا حقاً.. على أي حال سأرد على سؤالك بخصوص «الكابين»، لحسن الحظ فشلت المجلة في اكتشاف وجوده.. لدى العائلة منزل كبير قرب «استس بارك» تملكه منذ سنوات.. ولا أزال أذهب إليه أحياناً.. لكنني أعطيته لأختي حين اشتريت هذا المكان منذ سنتين ولا يعرف بمكانه سوى عدد صغير جداً من الأصدقاء المقربين.. صدقي أو لا تصدقي أنت أول امرأة تدخله خارج محيط العائلة.

أمسكت كاندرة الجينز الذي ترتديه:

ـ وماذا عمن تملك هذا؟

ـ إنه لأختي.. نسيته حين كانت هنا مع زوجها الشهر الفائت.

ـ أخبرني المزيد عن عائلتك.. واضح أنك مولود بملعقة فضة في فمك.

ـ لا تكوني لاذعة هكذا.. كان هناك طقم طعام كامل من الفضة إنما لاثني عشر شخصاً.

ـ أوه.. فهمت.. لا بد أن اسم عائلتك روكفلر أو مورغان، أو..؟

اللمعان المتسلي في عينيه اعتراف بأنه فهم محاولتها كسب المعلومات..

ـ في الواقع، كان جدي الأكبر مهاجراً فقيراً مع زوجة وطفل، سمع كلمة «ذهب» فاتجه غرباً ليجني ثروته.

ـ ومن الواضح أنه نجح.

ـ ليس من حقول الذهب الذي كان التنقيب عنه عملاً متعباً، وسرعان ما أدرك أن زوجته كانت تجني مالاً أكثر منه في البلدة من صنع الخبز وقص الشعر.. فعاد إلى البلدة وأسس متجراً عاماً صغيراً يموّن الباحثين عن الذهب لقاء نسبة مئوية من أرباحهم.. وكان قراراً حكيماً مربحاً.. وأنا الآن ممتن جداً له.

ـ وهل ورثت مالك؟

ـ لا داعي للاستهجان هكذا.. الواقع أنني ورثت عملاً.. حين اضطر والدي للتقاعد باكراً لأسباب صحية، تولّيت إدارة أعماله.

قالت ساخرة:

ـ رائع جداً أن يبدأ المرء من القمة!

ضحك:

ـ ليس من القمة بالضبط.. فقد علمني والدي كيفية إدارة العمل منذ كنت صغيراً.. لقد ابتدأت كحاجب وغضبت لهذا لأنني كنت أريد بيع الألعاب.

اتسعت بسمته:

ـ كنت في السابعة من عمري، وكان والدي يدفع لي خمسة وعشرين سنتاً في الساعة.. كان يقول إنه ابتدأ هكذا.. وكان جدي لا زال حياً يومها وأذكر أنه تذمر قائلاً إن والدي كان مرتبه كبيراً هكذا.

ضحكت معه قبل أن تقول:

ـ حتى ولو بدأت من الأسفل، فأنت كنت تعرف دائماً أن التجر سيصبح لك في يوم ما.. ولا بد أنك أحسست دائماً بأنك.. أوه.. لست أدري.. مؤمّن.

- أنت تبالغين في تقدير قيمة المال.

- هذا إحساس طبيعي لرجل اعترف لنفسه أنه لم يحتج يوماً لشيء.

- ماذا تشترين لو كان لديك المال الذي تريدينه؟

كانت يداه مطبقتين خلف رأسه وساقاه ممددتين أمامه.. وأجابته:

- هذا سهل.. سأشتري لكاتيا كل الثياب التي ترغب فيها وأتركها تصفف شعرها وتقصه في «صالون» فخم. أما أدجر، فسأشتري له سيارة سوبر بدلاً من تلك المهترئة التي يصلحها سنة بعد سنة.. أما لي، فأثاث جديد وورق جدران ليس في التصفية..

ابتسمت مرتبكة:

- يبدو وكأنني أمضيت وقتاً طويلاً وأنا أفكر بهذا، لكنني في الواقع لم أفعل. فإمكانية حصولنا على مثل هذا المال بعيدة جداً.. مع أنني أحياناً أشعر أنني قد أفعل أي شيء لأجل المال.

- لا تقولي لي إنك ساذجة بما يكفي لتصدقي أن المال يشتري السعادة؟

- لا.. ليس حقاً.. إنما بوجود المال سيكون لدي مشاكل أقل.. كان يمكنني مثلاً أن أدفع أجرة من يأتي لدهان المطبخ ولصق ورق الجدران، فيحررني بذلك من تلك الأعمال ويمكنني من الذهاب إلى آسبن مع أدجر.

- لكنك حاولت الهرب إلى آسبن.

- هذا صحيح، وانظر إلى الورطة التي أوقعت نفسي فيها. «مجرد تصاعي» كما كانت ستقول جدتي لي.

- أنا لست واثقاً من أنني أحب أن أقارن بالآنسة كريم.

- ولا حتى بالشوكولا مع الكريما المخفوقة؟

- حسناً.. أقبل لو أضفت إليها الكرز.

خاض قلب كاندرة بشكل خطير، فطريقة ريكس في الضحك والمزاح كانت مثل ابتسامته. أحست بتحرك مشاعر غير مألوفة لها، فتطلعت بسرعة من النافذة حيث كانت هبات ريح تضرب زجاجها بينما لحجب سنارة بيضاء الأرض عن النظر.. وقالت دون وعي:

- متى سيتوقف كل هذا؟

- إن تخمين ذلك صعب.. أنا لا أتذمر.. «كايين» خشبي دافئ، الكثير من الطعام، وحمراء شعر جميلة ترافقني.. ماذا يتمنى الرجل أكثر من هذا؟

نظر إليها باهتمام قبل أن يضيف بصوت مرح:

- أنت تحمرين مجدداً.

لحسن حظ كاندرة وتوازنها، تبح براوني مطالباً بالخروج في وقت مناسب ومرحب به.

* * *

٣ ـ أخطر من العاصفة

بحلول وقت الغداء كانت كاندرة قد سيطرت على مشاعرها مرة أخرى. ما من شك أن ريكس واحد من أولئك الرجال الذين يجدون العبث سهلاً مثل التنفس. لقد كانت بلهاء في أخذها ملاحظاته بجدية.. وهما يتناولان السندويشات تمكنت من العودة بالحديث إلى عائلته، وروى لها قصصاً عن أسلافه الذين سافروا غرباً نور سماعهم عن اكتشاف الذهب في كولورادو، وعن نمو أعمال العائلة وازدهارها مع كل ابن يلحق بخطى أبيه. وأنهى روايته قائلاً:

ـ وهكذا ترين أنني كبرت مع العمل.. كان اسمنا قد أصبح يعني شيئاً كبيراً هنا وأستطيع الاعتماد على أجداده، لكن هذا الاتكال قد يضعنا بسرعة خارج العمل، فجدي الأكبر لم يثبت قدميه جاهداً ليصنع النجاح لوريث كسول.. كان عليّ أن أتأكد من أن الزبون سيحب التبضع من متجرنا وهذا هو التحدي الحقيقي وسط المنافسة الشديدة اليوم.. أن نحافظ على مركزنا ونجذب الزبائن الجدد دون خسارة القدامى.

ابتسم لها بسخرية:

ـ ما كان يجب أن تزكيني أبداً بهذا الموضوع.. فلسوف أضجرك كثيراً.

أنكرت صادقة:

ـ لم أضجر من هذا الحديث.

كانت مذهولة بحديثه وبإمكانها القول إن حياته كانت مكرسة ومحملة

بالمسؤولية مثل حياتها، إنما على مستوى مختلف بالتأكيد.

بعد الغداء عاد ريكس إلى عمله في أوراقه تاركاً كاندرة تسلي نفسها، أخذت كتابها وذهبت إلى غرفة النوم ثم استلقت على الفراش لتقرأ.. لكن لم يمض وقت طويل قبل أن تتحول مسار أفكارها عن الصفحات المطبوعة.

كانت كاندرة منذ مولدها الفتاة المعتمد عليها.. كاندرة الثابتة، كاندرة الـ... المضجرة.. كل من عرفها كان يسارع للقول إنها لم تخاطر يوماً ولا فعلت شيئاً غير متوقع.. ولأول مرة في حياتها تصرفت بتهور.. ونتيجة لهذا كانت ستحدث مأساة.. ماذا كان سيفعل أدجر وكاتيا لو لم يجدها ريكس؟ كيف كان بإمكانهما تدبر أمور حياتهما؟

الكتاب الذي أهمله وقع دون انتباه منها على الفراش، وجلست مستوية متذكرة قول ريكس لها إنها جميلة.. نظرت إلى مرآة أمامها فانعكست لها صورتها.. بشرة شاحبة اللون بخدين ملطخين باللون الزهري.. الأنف جميل الشكل.. لكن جميلة؟ ليست هكذا بكل هذا النمش المنتشر على وجهها وجسمها. ثم هناك شعرها.. عدة مرات اقترحت أمها وكاتيا أن تقصه قصيراً فيصبح بذلك أقل بروزاً للعيان لكنها لم تقبل.. كان لجدها شعر أحمر مثلها، إنه دم «ماكروغر» كما كانت تقول بكل فخر وتدعي أمام كاندرة أنها تحب كثيراً شعرها الملتهب اللون.

تحملت وهي طفلة عادة الناس في التربيت على رأس طفل أحمر الشعر، وما من أحد كان يربت على رأس كاتيا.. حين كان الناس ينظرون إلى أختها الصغرى كانوا يقولون «يا لها من طفلة لطيفة» أما حين ينظرون إلى كاندرة فكانوا يقولون: «أمك تقول إنك عون كبير لها» وكانت تفهم أنهم بطريقة لطيفة يقولون إنها لن تكون جميلة أبداً.. لذا من الأفضل لها أن تكبر لتكون نشيطة لا تعرف الكلل.

فكت كاندرة رباط الحذاء ببطء لتحرر شعرها السميك الذي توقفت منذ زمن بعيد عن محاولة تمليس خصلاته المتفلتة بجنون، فأحاط الآن برأسها وكأنه ضبابة نارية وبحركة بطيئة متكاسلة استدارت تصف استدارة وراحت

تعبث بشعرها ثم نظرت من فوق كتفها إلى المرآة ثانية بطريقة أملت أن تكون مثيرة..

حلها شكلها المختلف الآن على الابتسام. لو أن أصدقاءها والتلاميذ يرونها الآن.. الآنسة فولكنر المتزمتة دون نظارات كبيرة الإطار وكعكة شعر عند مؤخرة الرأس.. وشعرت بالمرح وبإرضاء لغرورها لكون أكثر الرجال الذين التقت بهم جاذبية، يعتقد أنها مغامرة حمراء الشعر.. وأغمضت عينيها لتضيع في عالم خيالها.. كاندرة فولكنر، القتيلة الحمراء الشعر تقتحم المجتمع وهدفها الوحيد اصطياد ألطف رجل في المدينة، ريكس أونسلو، للزواج.. الملازم كاندرة فولكنر من شرطة نيويورك تعمل في الخفاء لكشف زعيم عالم الجريمة، ريكس أونسلو.. الجاسوسة الروسية كاندرة فولكنروفا تحاول إقناع عميل الاستخبارات، ريكس أونسلو بأن يكشف سر الخطة لها..

ـ هل تنوين النوم طوال بعد الظهر؟

ردت ناعسة:

ـ لن أنام قبل أن تكشف لي أين هم.

ـ إنها اتفاقية جيدة.. لكن من «هم»؟

كورت كاندرة فمها بخيبة أمل.. أي نوع من العملاء السريين هو إذا لم يكن يعرف أن من المفروض عليه ملاحقتها؟

ـ أنت تعرف.

.. وأحست بوجوده قربها.. ففتحت عينيها بحدة وقالت بقلق:

ـ أنا.. لا بد أنني كنت أحلم.

ـ بالأمير الذي أيقظ الجمال النائم؟

ـ أوه.. ليس بالضبط.

رفع حاجبه متسائلاً فأكملت بسرعة:

ـ كنت أحلم أن.. أنك.. كنت عميلاً سرياً.

رمى رأسه إلى الوراء وضحك.. وكانت ضحكة رائعة تخلو من أي هم

ودون أي تردد.. وهذا ما تفتقد إليه. ثم جلس على السرير إلى جانبها.

فتحت عينيها، ثم أغمضتهما بسرعة أمام النيران المتراقصة في عينيه نصف المفتوحتين.. وأدارت وجهها من تفرسه فيها، ربما يجب أن تخاف، لكنها لا تشعر بالخوف..

اتكأ على مرفقه وقال:

ـ لمَ هذه الابتسامة؟

ـ للسعادة المطلقة.. فهذا أروع إيقاظ من النوم حصلت عليه في حياتي.

فهمت من نظرته التي وجهها إليها أنه لاحظ ارتباكها.

ـ لديّ انطباع غريب جداً بأنني أنا المعلم وأنت التلميذة.

ردت بلذاعة:

ـ هذا لأنك أكبر سناً مني.

ـ ثلاثة وثلاثون.. هذا ليس بالعمر الكبير.. وأنت..؟

ـ أربعة وعشرون.

ـ ما خطب الرجال في أريزونا ليتركوا امرأة مثلك تضيع من بين أيديهم؟

ردت، تفسر بحذر:

ـ إن تربية أخويّ وكل الأعمال الباقية لم تترك لي الكثير من الوقت للتخالط الاجتماعي والمواعيد.

لم تكن تريده أن يظن أن نقص خبرتها مرده إلى أن الرجال لا يجدونها جذابة.

ـ كانت الحياة خشنة معك، أليس كذلك؟

تجاهلت شفقته.

ـ هناك آخرون كانت حياتهم أسوأ بكثير. على أي حال أصبحت الأيام الصعبة خلفنا.. لأدجر الآن عمل جيد، وستنهي كاتيا الكلية في الخريف المقبل.. أنت لم تخبرني لماذا أيقظتني؟

ابتسم للاحمرار الذي علا خديها:

ـ لقد ألهبتني.. اسمعي.

- لا أسمع شيئاً.

- بالضبط.

قفزت من السرير واتجهت إلى النافذة الكبيرة في غرفة الجلوس.. كان أمامها أرض مفروشة بسجادة بيضاء لامعة وترتفع عبر الوادي جبال عظيمة تلونت قممها بلون خوخي من الشمس عبنها التي تلوّن السماء الزرقاء.. وعلقت أنفاسها في حلقها.

- إنه جمال كامل..

كان خارج النافذة مقعد خشبي طويل مليء بالثلج وضعت عليه قصعة طعام، وقفز سنجاب رمادي صغير من شجرة صنوبر، ينفض عنه غبار الثلج ويقطع المسافة إلى المقعد حيث يوجد الطعام.. أخذ منه عدة حفنات قبل أن يحلّقه طائر رمادي كبير حط مع صيحة مرتفعة.

قالت بصوت منخفض:

- يا لك من متسلط.. تخيل سنجاباً صغيراً.

- ليس صغيراً. إنه سنجاب من نوع «تشيكادي» أصغر سنجاب شجر يعيش هنا.. سيعود، فكلهم يعرف من أين تأتي المساعدة.. هل تسمعين هذا الصوت الناشىء؟ إنه هو يشتم اللص.

- اللص؟

- الغراب الرمادي.. إنه وقح جداً، يصل إلى مائدتك ويسرق الطعام منها.. انظري كم هو سمين.. إحدى أجمل الصفات في ملكيتي لهذا الكوخ هو كونه يوفر لي دراسة الحياة البرية.. الزوجان اللذان يعتنيان بهذا المنزل يبقيان الطعام في الخارج دائماً حين لا أكون هنا.

أشار إلى عصفور صغير أسود الرأس أحمر الصدر، يتعلق فوق كيس شبك ويلتقط من محتوياته.

- هذا واحد من الزائرين المفضلين لدي.

- إنه محبوب جداً.. تشيكادي؟

- إنه كاسر البندق.. الأحمر الصدر..

- ماذا يأكل؟

- شحم بقر.

- آوغ.. ليست فكرتي عن الطعام المستساغ. انظر! هناك واحد آخر.

ضحك:

- هذا هو تشيكادي.

ذهب إلى خزانة الكتب وعاد بكتاب صغير.

- هاك كتاب عن الطيور.. لمَ لا تفتشين عمن يمكنك التعرف إليه بينما أقوم بتحضير العشاء.

- أرجو أن يكون شيئاً أفضل من الشحم.

وهزت أنفها معبرة عن فكرتها.

مع غوص الشمس نحو المغيب، أخذت الطيور تقل وتقل إلى أن لم يعد هناك سوى طيرين من الجنكو الرمادي.. فطوت كتاب الطيور منتهدة بأسف وقالت لبراوني الواقف قربها يراقب باهتمام:

- حسناً.. أعتقد أن هذا كل شيء.

قال ريكس من خلفها:

- حتى الآن فقط، فزائرو الليل سيحضرون فيما بعد.

تنهدت بسعادة:

- لا عجب إذن أنك اشتريت هذا المكان حيث تشعر بأنك معزول عن بقية العالم.. لا ضجيج موسيقى، لا صياح أطفال، لا هدير سيارات، لا رنين هاتف.. مجرد هدوء وسلام.. وهذه فكرتي عن السعادة.

- دون تلفزيون.

- بالطبع! لو ترى كيف يتشاجر أدجر وكاتيا حول البرامج التي يريدان مشاهدتها.. لو سألتني ماذا سأفعل بالمال، لقلت لك إنني سأشتري جهاز تلفزيون آخر لهما.

ضحك ريكس.

- لكن المكان هنا ليس هادئاً هكذا في الصيف إذ تكون الطريق مفتوحة

وقتئذ ويمر الكثير من السياح في «انديبندنس باس» إلى آسين.. ولحسن الحظ، معظمهم لا يعرّج إلى هنا للزيارة.

ونظر إليها بخبث.. فاحتجت:

ـ هذا غير عادل.. لقد اعترفت أنني تصرفت بغباء، واعتذرت لإزعاجي لك وشكرتك تكراراً على مجيئك لإنقاذي.. فماذا تريد أكثر من هذا؟

لاحظت اللمعان الخبيث في عينيه، وسارعت إلى تغيير الموضوع.

ـ أتساءل ماذا يفعل أدجر وأصدقاؤه.. هل يعانون من العاصفة ذاتها؟

ـ صعب القول.. أحياناً تعمل الجبال كحاجز.. وأتمنى ألا تكون العاصفة قد قطعت خطوط الهاتف كي تتمكني من إبلاغه أنك بخير.

وأخذ يضع الأطباق على المائدة.

ـ لن يفكر بي أبداً. ثم إنه...

وصمتت، فسأل: «ثم.. ماذا؟».

ـ لست واثقة أنه سيتفهم سبب وجودي في كوخ رجل غريب.

زم شفتيه قليلاً ثم سأل:

ـ أكنت تفضلين أن أتركك لتتجمدي حتى الموت؟

ـ لا.. بالطبع لا.. لكن الأمر فقط..

كان يدير ظهره لها وهو يحرك محتويات وعاء طبخ فوق النار.

ـ أنت محرجة.

ـ طبعاً أنا محرجة، لأنني تصرفت بتهور ثم بحماقة.. ومن يمكن ألا يحرج؟ لكنني أفضل قليلاً من الحرج على الموت متجمدة.. أما أدجر وكاتيا فقد لا يريان المسألة هكذا.. فهما يؤمنان بالموت ولا العار، وأشياء كهذه.

قال ببرود، ملتفتاً لينظر إليها نظرة باردة.

ـ لا أذكر أنني سببت لك العار!

قالت بسرعة:

ـ لا.. لم تفعل.. أنا لا أعبّر جيداً. أنا أختهما الكبيرة، ولديهما

توقعات مثالية عن كيفية تصرفي.

لانت أسارير وجهه:

ـ مثلما يوم كنت في الثانوية وكانت أمي ترتدي ملابس مثيرة لحضور الحفلات، كنت أحس بالرعب.

هزت رأسها بامتنان لتفهمه:

ـ أعتقد أنك تستطيع القول إنني كنت لهم الأم البديلة.

مازحها:

ـ إذن لا يمكن أن يوافقوا على تغزلي بك؟

ترددت:

ـ وأنا مسرورة لأنهما لن يعرفا.. فسخطهما قد يفسد عليّ الذكرى. لقد أعجبني غزلك.. وأعتقد أن على المرأة ألا تعترف بهذا لرجل غريب.. لكن بطريقة مجنونة أشعر ان من السخف التلاعب. ثم ما إن أغادر هذا المكان حتى نفقد أي اتصال، لذا إن أردت أن تسخر مني لاعترافي بذلك، فهيا.. لكن توقف عن التمليق.

جد ريكس وهو يقف قرب الطبّاخ قبل أن يرد بهدوء:

ـ لا يمكن أن أنكر بالسخرية منك.. تشرفني ثقتك بي لقول الحقيقة.

ناولها قصعة مليئة بالحساء الساخن، وأضاف متجهماً:

ـ لقد سعدت بتغزلي بك...

قاطعته بسرعة:

ـ دعك من هذا. الآن وقد توقف الثلج، فهل تساعدني على إيجاد سيارتي؟

ـ لا داعي للعجلة.. لن تذهبي إلى أي مكان قبل أن تنظف الجرافات الطريق حتى الحاجز.. في الصباح ستنطلق باكراً لتجدها.

نظرت إليه بإحباط:

ـ في الصباح؟ ولمَ ليس الليلة؟ أتظن أن تعبيري عن إعجابي بغزلك لي هو بمثابة دعوة مفتوحة لك.

- إننا عالقان معاً منذ أربع وعشرين ساعة تقريباً، وأنت تحت رحمتي تماماً ولم أحاول الاعتداء عليك.. فما الذي يجعلك تظنين أن غياب الشمس سيجعلني أفعل؟

ابتسمت معتذرة:

- أعتقد أن لأمينات المكتبات مخيلة واسعة لأنها تقرأ كثيراً.

- إذا كان هذا اعتذاراً، فقد قبلته.. سأتطوع بالنوم على الأريكة الليلة.

العشاء الذي حضره ريكس من طعام معلب ومن الثلاجة الصغيرة قد لا يكون من أفخم الطعام، إنما طعمه لذيذ جداً.. تشاركا عملية تنظيف المائدة وأعطيا براوني بقايا الطعام الذي اختاراه له ثم جلسا معاً أمام نار هادرة ليلعبا الورق.. كان ريكس شخصاً مثقفاً ويعرف الكثير من المواضيع المختلفة، وسرت كاندرة لاكتشافها أنهما يشاركان في قراءة العديد من الكتب للمؤلفين أنفسهم.. صحيح أنهما لا يتفقان على الرأي ذاته، إلا أن جدالهما كان سلساً.

قال ريكس:

- لقد تحملت عبئاً كبيراً..

تغاضت عن تعليقه:

- على المرء أن يفعل ما يتوجب عليه. على أي حال لقد كبر الولدان الآن ولسوف يكون لدي وقت فراغ كبير.. ولن أعرف ماذا أفعل به.

- يمكنك أن تتزوجي.

- يوه..! وأبدل مركز عمل بآخر؟ لا.. أنا أتطلع إلى حرية رائعة.. استمتاع طويل بماء مفطس معطر، السفر، بل الكثير من السفر! قد أجد الوقت لأكسب ثروة لنفسي.

- يمكنك أن تتزوجي ثروة. أوليست هذه هي الطريقة القديمة قدم الزمان؟

- قول سهل.. لكنني لا أتواجد في الأماكن التي يرتادها أصحاب المال

الكثير.

- الأثرياء يقرأون.. كذلك.

- لا أستطيع أن أطلب منهم بطاقات مصارفهم إضافة إلى بطاقة الاشتراك في المكتبة.. أيمكن؟

هزت كتفيها:

- أضف إلى هذا أن الجميع يعرف أن الأثرياء لا يتزوجون سوى الثريات أو على الأقل الجميلات. أنت تعرف نوع النساء اللواتي أعنيهن.. شعر أسود مجعد، أو أشقر بلون البلاتين، وجوه نموذجية، كتفان رائعتان، وخاصة أعناق مثل عنق الإوزة..

ورفعت رأسها عالياً:

- ... أترى.. عنقي ليس كعنق الإوزة.. ولا تنسَ شعري الأحمر.

- ليس من المحتمل أن أنساه.. لكنني لا أرى أهمية لعنق الإوزة.

- لعرض المجوهرات والألماس طبعاً.. ستة إنشات من طوق الماسي كطوق الكلاب حول العنق ويواردان من ذات النوع تتدلى من الأذنين.

- يبدو لي هذا زينة رخيصة.. أهذا ما تحبين؟ يواردان من الألماس؟

قالت بقرف:

- لا تكن سخيفاً! أنا حمراء الشعر.. أحلم بالياقوت الأحمر ليتناسب مع شعري أو الفيروز الأخضر ليتناسب لون عيني.

- إنهما تركوازيتان أكثر منهما خضراوان.

- يا لك من مفسد للأحلام.. لو لم تكن من الإدعاء أنني ثرية، فسأتمكن من الإدعاء بأن لي عينين خضراوين.. ألا يمكن هذا؟ إنه خيالي أنا!

- إذا كنت تدعين، فلِمَ لا تدعين أنك شقراء بما أنك تظنين أن اللون الأشقر جميل؟

- أتعني مثل كاتي.. لها أجمل شعر أشقر كشعر أمي.

أخذ براوني يئن مطالباً بالخروج فوقف ريكس استجابة له وهو يسأل

بدهشة:

- أختك شقراء؟ لسبب ما كنت أعتقدها عكس ذلك.

تنهدت:

- لا أحد يبدو كاللعبة مثل كاتيا. . صدقني إنها تنوي بالفعل أن تتزوج شاباً ثرياً وربما ستنجح.

- أنهم من هذا أن لها عنق الإوزة المطلوب.

عاد ليُدخل براوني ويجففه، فوقفت قائلة:

- أيمكن أن أساعد في تحضير الصوفا لك؟

رمى لها أغطية من الخزانة، وانفتحت الصوفا بسهولة لتصبح فراشاً. . اختفى قليلاً في غرفة النوم ثم عاد وهو يحمل ثياباً.

- أتريدين البيجاما أم قميص النوم؟

- أي منهما لا تريده أنت.

أعطاها القميص.

- نامي جيداً.

ليتها تستطيع النوم! ما كان يجب أن تغفو بعد الظهر فلولا ذلك لكانت الآن متعبة بدل الاستلقاء في الفراش مستيقظة، تعي كل حركة يقوم بها ريكس وهو يتجول في غرفة الجلوس. . سمعته يكلم براوني بهدوء، ثم سمعت طقطقة الرقاصات وهو يستقر على الصوفا.

استدارت إلى جانبها وراحت تسوي الوسادة بيدها، لكن النوم استمر في مجافاتها. . لقد اختبرت اليوم الكثير من الأحاسيس الجديدة التي لم تستطع تحديد البعض منها.

تقلبت كاندرة وتلوّت بقلق. . ليتها فقط ليست كاندرة فولكنر المتعقلة الحذرة التي لم تتصرف يوماً بشكل خاطئ. .

- كاندرة هل أنت نائمة؟

كان يقف بعتمة الباب طيف ضخم.

دفعت بالبطانية إلى تحت ذقنها: «لا».

- أظن أن لدينا زائراً ليلياً. . تعالي إلى الخارج إن كنت مهتمة.

لفت البطانية حولها لرد صقيع الليل وسارت نحو غرفة الجلوس ثم وقفت مسمّرة عند بابها، كان ريكس يرتدي بنطلون البيجاما وقميصاً قطنياً فقط. . أشار إليها بتفاد صبر أن تتقدم، وتحركت إلى الداخل وهو يطفيء النور، ثم قادها إلى النافذة وأزاح الستارة بهدوء.

كان في الخارج قمر يغمر الأرض المكسوة بالثلج بنوره اللطيف الخفيف. . بينما يداعب هواء لطيف أشجار الصنوبر، ليعطيها ظلالاً متراقصة فوق البساط الأبيض.

قالت بصوت منخفض:

- لا أرى شيئاً.

- انتظري قليلاً. كانت هنا منذ دقيقة. لقد سمعتها! ستعود.

وقفت كاندرة قرب النافذة وأحست بالصقيع يتسلل عبر الزجاج الواسع، وفكرت بريكس وبقربه منها. . فقالت متلعثمة:

- هل أنت متأكد من أنها ستعود؟

- أجل ستعود، اهدأي.

وهما واقفان ينتظران، سمحت لنفسها بأن تتخيل أنهما أكثر من اثنين يلتقيان صدفة، وأنهما في عالم رائع، لن تضطر فيه إلى قيادة سيارتها في الصباح أو عدم رؤيته مجدداً.

إنه رفيق ساحر مثير للاهتمام. . ثم تسارعت أنفاس كاندرة، بينما بدأ توتر غير مألوف يعتمر في داخلها لوجوده قربها.

أشار إليها: «هناك».

نظرت كاندرة إلى حيث أشار فرأت أربعة أزواج عيون كبيرة لامعة تبدو وكأنها تحدق فيها.

- إنها غزلان.

راقبتها كاندرة بذهول وهي تأكل الحبوب التي وضعت على المقعد الخشبي، بينما آذانها الطويلة تتنفض. ثم همست:

ـ إنها فاتنة.

قال برضى:

ـ عرفت أنك ستتمتعين برؤيتها، أنا..

لجأة عكر الصفو عطسة قوية، وفي لمح البصر أصبح المكان أمامهما فارغاً.. وقال ريكس معتذراً:

ـ آسف.. شيء ما دغدغ أنفي.

ضحكت بصوت منخفض:

ـ أرجو ألا تكون هذه الغزلان الصغيرة قد ماتت خوفاً.

ترك ريكس الستائر تعود إلى مكانها على النافذة.

ـ سيداتي سادتي هذا يكفي لهذه الليلة.

ـ ألن تعود؟

ـ أنا واثق أنها ستعود.. هذا الطعام للجاني أكثر جودة من أن تتخلى عنه.

لم يتحرك ليبتعد عنها.. ثم قال ممازحاً بصوت مغرٍ ومنخفض: «كاندرة».

بالكاد تنفست:

ـ ماذا؟

ـ لدي اندفاع مريع للمزاح حول أمينة مكتبة تشاركني المنزل.

ـ اكبت نفسك.

ـ لا تعرفين كم من الصعب كبت نفسي وأنت بقربي.

ردت باضطراب:

ـ بلى.. أعرف.

ـ كان من الصعب بما يكفي النوم ليلة أمس. لكن الليلة تبدو لي أصعب بكثير.

بدأ قلبها يخفق بشدة ولم تعد تستطيع التفكير، فهذا الرجل يؤثر في مشاعرها ويستولي عليها ولكن عليها أن تقرر... أمامها مفترق طرق

أحدها آمن، مألوف.. والآخر يقود إلى أماكن مجهولة المعالم بالنسبة لها، ولطالما اختارت كاندرة الآمن، والمعروف.

قال ريكس بصوت أجش:

ـ أنت غير حقيقية.. أنت حمراء الشعر التي سحرتني.. لكن الدعابة ستنقلب عليك لأنني لا أنوي أبداً أن أدعك تهربين مني.. أبداً.. لقد قلت إن أخاك وأختك لم يعودا بحاجة إليك.. لكنني أنا أحتاجك.

كتلة الجليد التي تشكلت فوراً في أعماق كاندرة، لم يكن لها دخل بالجو حولها.. فكلامه انتزع الغمامة عن دماغها.. ما الذي تفعله؟ أتتخلى عن احترامها لنفسها؟ ابتعدت عنه وقالت مختنقة:

ـ أنا.. لا أستطيع.. أنا.. لا أريد أن.. أرتكب.. أن أفعل هذا. أنا آسفة..

علقت الكلمات في حلقها. وجدت في مكانها خائفة من أن تنظر إليه.

قال ساخراً:

ـ لقد دعوتك بالساحرة المذنبة.. لكنني كنت مخطئاً، أليس كذلك؟ أنت لست ساحرة أبداً.

تمتمت مجدداً:

ـ أنا.. آسفة.

لكنها كانت تعرف أن اعتذارها لا معنى له.

ـ اذهبي إلى النوم.

ـ لم أقصد أن..

صاح راعداً:

ـ اذهبي إلى النوم وإلا فلن أكون مسؤولاً عن تصرفاتي.

ذهبت كاندرة.. وتهديده بأنهما سيتكلمان عن هذا في الصباح يرن في أذنيها.

كانت الوسادة قاسية كالحجارة تحت رأسها. كيف تستطيع مواجهته في الصباح؟ هذه الليلة عادت إلى وعيها في اللحظة المناسبة. لكن هل سيلازمها

هذا التعقل في الصباح؟ لو أنه قرر أنها تمثل دور صعبة المنال فهل ستتمكن من مقاومته؟

ارتجفت.. سيأتي الصباح بالكلام الموعود.. لا.. بل المهدد به.. ووجدت كاندرة العاقلة العملية نفسها فجأة في مياه أعمق بكثير من قدرتها على خوضها.. لا شيء مما مرّ في حياتها حضّرها لرجل مثل ريكس.. وإن كانت فعلاً المرأة المتعقلة التي يعرفها الجميع، فيجب أن تهرب منه بأسرع وقت ممكن وإلى أبعد مسافة ممكنة..

لحظة بزوغ أول ضوء، كانت كاندرة قد نهضت من السرير وخرجت من المنزل تاركة ريكس نائماً على الصوفا.

***

٤ ـ سجينة إلى الأبد

كانت الطريق الداخلية لمنزل كاندرة منظراً مرحباً به بعد قيادتها المتعبة وسط زحام السير الكثيف.. لقد وفرت لها ريح شهر أيار الآتية من الصحراء قليلاً من الاطمئنان. كانت حمى الربيع تسري بين الأولاد في المدرسة وكان هذا اليوم يوماً مميزاً في المكتبة. أطفأت محرك السيارة وبقيت جالسة في داخلها تفكر.. الأولاد لم يتغيروا، هي التي تغيرت.. حمى الربيع لم تكن سوى وصف للحنين الذي يتحرك داخلها.. لقد رافقها قلق متململ ساخط منذ العطلة فهي لم تتمكن من الرضى بأي شيء، ولا يلزمها كثير من العبقرية لمعرفة السبب.. لقد عرّفها ريكس على عالم جديد، وعلى أمل كبت شيء من تململها قبلت بضعة مواعيد من بعض الشبان. لكنها رفضت لمحرشاتهم، ولم يكن هذا سهلاً بالنسبة لها لأنها لم تكن تلتقد ما علمها ريكس إياه، بل ريكس ذاته.

كانت آخر رؤية له محفورة في ذاكرتها.

قادت سيارتها عائدة رأساً إلى توسكون.. عندما عاد أدجر وكانيا من عطلتهما، كان الطبخ مدهوناً وغرفة الطعام ملصقة الجدران بالورق.

ولم تنطق كاندرة بكلمة واحدة عن قرارها المتسرع بالذهاب إلى آسين.. كيف تصرفت بغير مسؤولية هكذا؟ كانت تريد إبعاد الحادثة كلها عن ذاكرتها.. لكن، لسوء الحظ رؤية رأس أسود الشعر من مسافة بعيدة.. وصوت الريح.. وحتى صوت ضحك رجل، كانت كلها ترسل أفكارها رأساً إلى ريكس.

تساءلت بماذا فكر ساعة استيقظ ووجد أنها رحلت.. وتولاها الإحساس بالذنب لأخذها المال.. كانت مدعورة لاكتشافها أن محفظتها مفقودة من جيبها، ولا شك أنها فقدتها ساعة وقعت فوق الثلج.. ولم يكن لديها وقت لتبحث عنها. فاضطرت إلى أخذ بعض الأوراق النقدية من محفظة ريكس، وتركت له ورقة إيضاح آملة أن يفهم.. لكن إعادة المال إليه كان مستحيلاً.

مررت كاندرة يداً على جبينها المبلل بالعرق.. كان رائعاً لو أن سيارتها تحتوي على مكيف هواء في مثل هذا الطقس الحار، وهذه رفاهية أخرى لا تستطيع تحملها. كان فستانها يلتصق بظهرها والشعر المنفلت من الرباط ملتصق على وجهها.. أحست بالسرور لأن العمل في المطبخ من نصيب أدجر الليلة.

لحظة دخول كاندرة غرفة الجلوس، عرفت أن شيئاً خاطئاً قد حدث. كان أدجر وكاتيا جالسين جنباً إلى جنب على الصوفا وتعلو وجهيهما تعابير الألم واليأس.. رفع كلاهما عينيه لدخولها، والأمل المؤقت يجتاح قنوطهما. عينا كاتيا المبللتان كانتا حمراوين، ورموشها مبللة بالدموع.

رمت كاندرة حقيبة أوراقها على مقعد قريب وسألت بحدة:

ـ ماذا هناك؟ ما الذي حدث؟

صاحت كاتيا:

ـ لم يستطع منع نفسه كاندرة.. سيعيد دفع كل شيء.

التفتت كاندرة إلى أخيها بحدة.. أرسلت النظرة المختلطة ما بين الرجاء والهزيمة على وجهه، البرودة إلى ظهرها: «أدجر..؟».

ـ أنا آسف كاندرة.. كان الأمر سهلاً جداً.. ولم أفكر.

ـ ما هو الذي كان سهلاً؟

ـ سرقت بعض المال من المحل.

هاوت كاندرة على أقرب مقعد رافضة التصديق:

ـ هذا مستحيل. لا يمكن أن تفعل.

نظر أدجر إليها بعينين مليئتين بؤساً:

ـ لقد اكتشفت منفذاً في نظام المحاسبة.. وكانت في البداية مجرد تجربة.. ووجدت أنها تجربة سهلة جداً.. ففعلتها مرة أخرى.. ولم أفكر بالعواقب.

هزت كاندرة رأسها مخدرة الإحساس، لا بد أنها في كابوس، وقالت بذهول: «تسرق..؟».

عندما حصل أدجر على العمل في مكتب الأعمال لدى واردن، اغتبط ثلاثتهم للأمر.. واردن في توكسون هو واحد من سلسلة واسعة من المخازن التجارية الموزعة في كل الغرب الأميركي.. ومع ذكاء أدجر، كانت كاندرة واثقة أنه سوف يمضي قدماً إلى البعيد.. لكن.. الآن.. سرقة..

وضعت كاندرة غضبها جانباً.. على الغضب أن ينتظر إلى ما بعد.. المهم الآن أن تصل إلى لب ما حدث.

ـ أفهم من هذا أنه تم افتضاح أمرك.

هز رأسه:

ـ كنت أنوي إرجاع ما أخذته عند إقرار الزيادة على المرتب بعد أسابيع.. لكنني فكرت بشراء سيارة جديدة قبل كل شيء..

وتلاشى صوته أمام نظرة الرعب في عيني كاندرة وتنحنح.. ثم بدأ يقص ما جرى معه في العمل هذا اليوم.. حين اكتُشف أمر السرقة كان صاحب الشركة الكبير السيد واردن ذاته موجوداً في البلدة، وجاء إلى مكتب أدجر مع رئيسه المباشر. في البداية كان السيد واردن قانعاً بترك الرئيس المحلي يلقي الأسئلة.. ثم شاهد صورة كاتيا على طاولته.. ومن لحظتها تغيرت لهجة التحقيق وصرف الرئيس المحلي للمتجر ثم قدم السيد واردن خياراً مذهلاً.. سوف ينسى كل شيء إن أرسل أدجر له أخته.

قالت كاتيا:

ـ قلت لأدجر إنني سأذهب.. ربما أستطيع إقناعه بترك أدجر يعيد دفع المال ونسيان الأمر كله.

صاحت كاندرة على الفور: «لا!».

جعلها مجرد التفكير بهكذا أمر تحس بالغثيان. قد يكون السيد واردن غلّف عرضه بكلمات جميلة، لكن الحقيقة المرّة هي أن أخت أدجر مقابل الرحمة.

ردد أدجر ردة فعلها:

ـ لقد قلت له «لا» اليوم.. لكنه قال إن عليّ العودة إلى البيت لأبحث الموضوع مع أختي.. وما كان يجب أن أخبرها بالأمر.. لكن حين وصلتُ أدركت أن شيئاً خاطئاً قد حدث، وتعرفين كيف تتصرف.. وانتزعت الحقيقة مني قبل أن أفكر.

تعرف كاندرة هذا جيداً، فلطالما كانت كاتيا الأقوى شخصية بين الإثنين.. وقالت دون وعي:

ـ المسألة هذه خارج الموضوع.

لكن كاتيا لم تقتنع بسهولة.. وطوال المساء دارت معركة طويلة بينها وبين أدجر، كانت فيها مصممة على لعب دور الضحية لتنقذ أخيها، بينما كان هو أكثر تصميماً على إبعادها عن الموضوع.. ولم تتمكن كاندرة من الامتناع عن القول لو أن أدجر كان يهتم فعلاً بألا تُذل أخته، لما ارتكب جريمته التي قد توصله إلى السجن، وبهذا يجلب العار إلى العائلة كلها.

استلقت كاندرة في فراشها وقررت بعد تفكير طويل ما ستفعله.. سوف تذهب لرؤية السيد واردن هذا بنفسها.. وبدأت تفكر بما ستقول له في الصباح التالي.. يجب أن تقنع صاحب المتجر بأن استعادة أمواله أفضل من ملاحقة أدجر.. وما إن يفهموا أن أدجر قد أدرك غلطه واعترف ببشاعة ما فعل، فبالتأكيد سيتساهلون معه. لكن إن كان السيد واردن ذلك العجوز المتمسك بعرضه، فلسوف تخبره وبوضوح ماذا يمكنه أن يفعل بعرضه ذاك.. ليس لأنها تعذر أدجر على عمله، إنما مهما كانت غاضبة منه، مهما كان مخطئاً، فهو لا زال أخاها وستحارب لأجله..

في الصباح التالي، كانت كاندرة تحس بانقباض في معدتها وهي تجلس في

مكتب حديث بانتظار أن تدخل لمقابلة السيد واردن.. كان من غير الجدوى الاستمرار في مساءلة نفسها لماذا فعل أدجر ما فعل.. لو أنها رأت فقط كم يعني له المال والأشياء التي يشتريها، وربما لو كانت أكثر تفهماً وأقل تحكماً في كيفية إنفاقه لمرتبه، لكان جاء إليها ولتمكنا من تدبير مبلغ لشراء سيارة جديدة له.. أيمكن أن يتذكر السيد واردن هذا كيف يتصرف الشاب وهو في الثالثة والعشرين حين يريد يائساً أن يؤثر على الفتيات؟

فتحت السكرتيرة الباب:

ـ سيقابلك السيد واردن الآن.

أغمضت كاندرة عينيها وأخذت نفساً عميقاً، لا مجال الآن للتراجع.. ودخلت إلى عرين الأسد.

نظر الرجل الذي كان يميل فوق الطاولة الكبيرة إليها بيرود.

ـ ومن يفترض بك أن تكوني؟

ـ أنت! ماذا تفعل هنا؟ كنت أتوقع أن أرى السيد واردن.

بدا لها بصحة جيدة حتى إن رغبة مجنونة كادت تدفعها إلى أن تركض ملهوفة إليه.

حرك ريكس رأسه قائلاً: «أنا واردن».

قالت بضعف:

ـ هذه أنا.. كاندرة.. ألم تعرفني؟

ـ يجب أن أعرفك.. أليس كذلك حمراء.. تشابهك مع أخيك مذهل.. هذا عدا ذكر عادة السرقة ذاتها.

صاحت:

ـ ألم تجد رسالتي؟ لقد حاولت إعادة المال لك واتصلت بالاستعلامات في دنفر لأحصل على رقم هاتفك.. لكن اسم ريكس أونسلو لم يكن موجوداً.. وأرى الآن السبب.

وراحت تعبث بحقيبتها:

ـ ما إن وصلت إلى المنزل حتى وضعت المال هنا في حال وجدت طريقة

لأوصله إليك.

مدت المال إليه بيد مرتجفة: «هاك».

نظر إلى المال بازدراء رافضاً لمسه، فرمته أرضاً.

- ألم تفكري أبداً بالانتظار ريثما أستيقظ قبل أن ترحلي؟ لماذا لم توقظيني وتطلبي مني مالاً..؟

تمتمت:

- أنا.. كان لدي أسبابي.

- اخلعي هذه النظارة اللعينة.

أجفلت ونظرت إليه بعجب قبل أن تطيع.. لقد نسيت ما كانت ترتديه.. عندما بدأت العمل في مكتبة المدرسة، جعلها شبابها وقلة خبرتها عرضة لمداعبات الشبان الأكبر سناً واعتادت أن تضع نظارة كبيرة الإطار بعدسات بيضاء وأن ترجع شعرها إلى الوراء في دائرة كي تبدو أكبر سناً.. بالتدريج نسي الشبان ما هو مخبأ خلف هذا التنكر ورأوها كأمينة مكتبة فقط.

أكمل بصوت لا يقبل الجدال:

- والآن، الشعر.

كانت يداها ترتجفان بشدة بحيث لم تجد دبوس الشعر.. تقدم إليها وانتزع الدبابيس من شعرها بسخط.. وتصاعدت الدموع إلى عينيها لمعاملته الجافة لكنها لم تجرؤ على الاعتراض، فقد كانت تحس بالغضب يحترق في داخله.. ولو أنه أظهر لها هذه الجهة من شخصيته وهما معاً لكان أرعبها.. ولقد بدأ فعلاً يرعبها الآن.

- قلت لدانيال رئيس أخيك المباشر، إن لي اهتماماً خاصاً بهذه المسألة مع أخيك.. وسيكون متكتماً.. لم تخرج المسألة بعد من مكتبه.. وخروجها متوقف عليك.

عاد ليجلس خلف طاولته، وتركها واقفة مرتبكة أمامه.. أحست وكأنها طفلة ملثغة في مكتب مدير المدرسة.. وأحست كذلك أنه يريد أن

يشعرها بأنها أقل شأناً.. فارتفع ذقنها إلى فوق متحدية:

- لقد خططنا لأن نعيد لك.. الدين.

سخر بصوت منخفض، والشر في صوته:

- أراهن على هذا.

فتشت في حقيبتها مجدداً:

- نحن.. اتفقنا على خطة للدفع.. إذا كان هذا يرضيك.

ومدت الأوراق المالية إليه.

تجاهلها وراح يقلب قلماً بين أصابعه، فتصاعد التوتر المرعب في داخلها للصمت الثقيل حولها، وبدأت عيناه تطوفان بشكل مهين على طول جسدها.

- كنت تبدين بمظهر أروع في قميص نومي مما تبدين الآن في هذه الأسمال.

دون أن يسمح لها بالتعليق على ملاحظته غير المتوقعة، أدار المقعد الدوار نحو الطاولة ووضع يدين منبسطتين على سطحها الخشبي.

- هاك الاتفاق: أنت مقابل أخيك.. دون مواربة.

شهقت كاندرة.. لم يخطىء أدجر أبداً في فهمه.. لكن هذا جنون.. ليس من ريكس.. ونظرت إليه بخيبة أمل، تسأل بكلمات لا تكاد تسمع:

- ماذا تعني؟

- أحصل عليك، يحصل على حريته.

- لا يمكن أن تكون جاداً.

هز كتفيه:

- فكري بالبدائل.. شاب جميل مثله في السجن.. سيكون ناجحاً وسط المحكومين بالمؤبد.

تملك الرعب البارد بها.. فقاصت على أقرب مقعد وسألت بصوت مرتجف:

- لماذ.. تفعل.. تفعل هذا.. لماذا؟

- ولك الجرأة في أن تسأليني؟ لقد سرق أخوك مالي.. وهذا أمر غير قانوني.. حمراء. وطبعاً بما أنك أنت أيضاً سارقة، ربما لا ترين في ما فعله شيئاً يخالف الأخلاق.

- أعترف أن ما فعله غلط.. لكن..

- أتظنين أنه يجب أن ينجو بفعلته؟

- لا.. لكن..

- دون لكن.. أنت أو هو.. أيهما تختارين؟

همست:

- ماذا تريد مني؟

ضحك بخبث:

- كنت أفكر مرات ومرات منذ دخلت هذا المكتب.. ما الذي تكرهينه أكثر؟ وأظنني خرجت بالرد الأمثل.

تحيطت معدة كاندرة وهي تنظر إلى القناع الماكر الساخر على وجهه:

- ما.. ما هو؟

ضاقت عيناه:

- لطالما حلمت باليوم الذي تقعين فيه تحت سلطتي.. لن تجدي من السهل التخلص مني هذه المرة.

لمعت عيناه لرؤيتها تجفل، وأكمل:

- ساحرة حمراء الشعر تظاهرت بأنها تبادلني نفس المشاعر، إلى أن اختفت في سحابة دخان.

تفرس فيها متفحصاً بصمت قبل أن يكمل:

- هذه المرة لن تختفي، حمراء.. هذه المرة قبضت عليك ولا أنوي أبداً تركك تهربين.

انتظرت باضطراب وهو يتفحصها ببرود بينما يهدد النبض المتسارع الضربات في عنقها بأن يخنقها.

مال إلى الوراء في المقعد الجلدي الكبير وعاد إلى تقليب قلم في يده دون

أن ينزع عينيه عنها ثم قال بهدوء:

- ستتزوج.

- تتزوج؟ لكن الزواج دائم إلى الأبد.

- بالضبط.

- لا.. لا أستطيع.. ولن أفعل!

تابع تقليب القلم وقال:

- ربما تريدين بحث المسألة مع أخيك قبل أن تتخذي القرار.

كان المعنى واضحاً تماماً في صوته البارد. فأغمضت كاندرة عينيها واجتاحتها موجات من البؤس.. لم تترك تهديداته لأدجر أي خيار لها.. ولا مجال للتساهل مع ذنبه. ومع أن هذه أول جنحة له، فإن ريكس ذو سلطة وستكون محاربته عقيمة.. لا يمكن أن تخاطر بإرساله إلى السجن..

فتحت عينيها وكان ريكس قد ابتعد عن الطاولة ووقف أمامها.. فتنحنحت تجلو حنجرتها:

- حسن جداً.. سأتزوجك.

أحست بمكر نظراته وهو يقترب منها، وقال ساخراً:

- إذن دعيني أهنىء العروس الخجولة.

وقفت كاندرة ذليلة خاضعة تتقبل أنه من الآن وصاعداً سيسيطر على حياتها.. ولكن إن كان يأمل أن تخضع له أو تتوسل إليه ليرحمها، فإنه مخطىء لأنها لن ترضيه بهذا.. وفجأة تعالى صوت رنين غاضب قرب أذنيها، فقال بصوت أجش: «الهاتف».

فاستدارت عنه وتمتم ريكس من خلفها بضع كلمات في الهاتف ثم صفق السماعة مكانها.. التفتت إليه لتواجهه لحظة سمعت اسمها، فوجدته خلف طاولته مجدداً وتعابير وجهه غير مقروءة.

- اتركي رقم هاتفك وعنوانك مع السكرتيرة.. سأمر الليلة للاتفاق على الترتيبات.

هزت رأسها جافة العينين، فالألم أشد من أن تبكي.

ـ ماذا سأقول للأولاد؟

ـ أخوك لم يعد ولداً.. إنه رجل ناضج.. قولي له الحقيقة.

ـ لا.. لا أريد أن يعرف.. إنه.. إنه لن يتركني أضحي بنفسي من أجله.

قال بلهجة صارمة وهو يبحث في كومة أوراق أمامه:

ـ قولي ما تشائين.

سارت كاندرة نحو الباب ومدت يدها إلى مقبضه لكن صوته البارد أوقفها:

ـ لمجرد الفضول.. حمراء: كيف أخرجت سيارتك من الثلج؟

رفعت مواجهته:

ـ وجدت جرافة الثلج هناك. كان الرجل ينظف الطريق ووصل لتوه إلى الحاجز.. فقام بجرها بواسطة السلاسل.

انتظرت لحظة.. لكن حين لم تسمع رداً، خرجت تقفل الباب بحذر وراءها.. على الأقل لم يسأل عن كاتيا.

مهما كانت أسبابه فهو في هي غضبه لرؤية كاندرة نسي تماماً طلبه الأساسي بأن يرى كاتيا.. ماذا سيقول حين يأتي الليلة إلى البيت ويراها؟ الجميلة كاتيا.. وكاد قلب كاندرة يتوقف عن الخفقان. ماذا لو طالب ريكس بها بدلاً من كاندرة؟ يجب ألا تضحي بها لقاء جريمة أدجر.

الآن، على كاندرة أن تفهم شقيقها أنها لن تنقذه بعد الآن من أي عاقبة لتصرفاته الشخصية، ولا ستفعل كاتيا.. فإنقاذ أدجر بنفسها شيء والسماح لكاتيا بأن تضحي بنفسها شيء آخر.. مررت كاندرة يدها في شعرها المسترسل آملة أن تخفف الصداع الذي يضج في رأسها.. كانت أفكارها تصطدم الواحدة بالأخرى وكأنها سناجب مذعورة في قفص.. إنها في الرابعة والعشرين من عمرها فقط، وهي صغيرة جداً على تحمل مسؤولية عائلة كبيرة ناضجة.. اللعنة على أدجر، كيف لكن من أن يفعل هذا بهم؟

حين رن جرس الباب ذلك المساء، كان ألم رأسها قد تعاظم تعاظماً

كادت معه لا تعرف ماذا تفعل.. والأسوأ، أنها لم تقل كلمة لأدجر وكاتيا عن موضوع زواجها بريكس، كل ما قالته هو أنها أقنعت صاحب المتجر بألا يرفع الدعوى إذا قبل بالتسوية، وحين أراد أدجر معرفة التفاصيل، انفجرت أعصابها في عرض غاضب لطبيعتها النارية جعله يتراجع بسرعة عن طاولة العشاء وتبعه خروج كاتيا العاصف بعد أن أخطأت في اتهام كاندرة بالأنانية.

لولا ألم رأسها الشديد لرحبت بالمشهد المثير للشفقة الذي استقبل ريكس حين أدخلته إلى غرفة الجلوس، وحده براوني كان سعيداً بوجوده.. أما كاتيا التي كانت تلعب دور الأخت التي عانت كثيراً، فكادت لا ترفع رأسها، وأما أدجر فاضطرب لظهور ريكس المفاجيء.. عرفت كاندرة أن مظهرها رهيب بسبب البذلة القبيحة التي لا زالت ترتديها، وبسبب شعرها الذي عاد إلى رباطه المعتاد وبسبب وجهها الشاحب الخالي من الزينة.

انحنى ريكس إلى الكلب يهدىء ثورته وقال لها:

ـ تبدين مريضة.

ردت بعدوانية ورقة:

ـ شكراً لك. هذا على شرفك بالطبع.

ضحك بحدة: نسيت أن تستقبليني بابتسامة.. حمراء.

لقد أحرجها بملاحظته، فقد جاءت وكأنها رداً على إهانتها له. وقبل أن ترد عليه، اتجه نحو كاتيا.

ـ أرى أن الحمراء لم تكذب حين قالت إن أختها الصغيرة جميلة خلابة.

تقدم ريكس من كاتيا وقال:

ـ أنا ريكس واردن.. صهرك العتيد.

إذا كان بالإمكان أن تقفز العيون من محاجرها فعينا أدجر وكاتيا كانتا تظهران بالضبط شكل هذا القفز.. وأحست كاندرة برغبة في أن ترمي نفسها على الأرض وتغرق في ضحك هستيري، لكن عيني ريكس سمّرتاها في مكانها قبل أن يلتفت مجدداً إلى كاتيا:

ـ أعتقد أن الحمراء لم تخبرك حتى الآن.

نظرت كاتيا إليه ثم إلى كاندرة بارتباك وحيرة.. ثم قالت بصوت منخفض ناعم:

ـ تكره كاندرة أن تسمى بالحمراء.

التوت شفتا ريكس بابتسامة قصيرة: «أعرف».

سألت كاتيا:

ـ هل ستتزوج كاندرة حقاً؟

ـ ولمَ لا؟ أليك فكرة أفضل؟

أخيراً وجدت كاندرة صوتها: «لا».

أرجوك ربي.. لا تدع ريكس يرغب في كاتيا.

نظر إليها ببرود وحاجبه مرتفع: «لا؟».

ـ أعني لا، لم أخبرهما بأمر الخطوبة حتى الآن.. فكرت أن.. أن أنتظرك.

رد قبل أن يبتسم لكاتيا مردفاً:

ـ كاذبة.. أعتقد أن أختك أملت بأن تتراجع عن اتفاقنا.

سارعت كاتيا للدفاع عن أختها:

ـ لا.. لن تفعل كاندرة هذا.. بإمكانك دائماً الاعتماد على وعدها.

قال أدجر وهو يطقطق أصابعه:

ـ لم أكن أعلم أنكما على معرفة سابقة.

قال ريكس وصوته يقرقع كالسوط:

ـ ثمة أشياء كثيرة لا تعرفها.

قالت كاندرة باستعجال:

ـ لقد التقينا السنة الماضية.

قال ريكس متشدقاً:

ـ هذا صحيح.. ورفضت طلبي يومها.. لكنني عرضت عليها اليوم عرضاً لم تستطع رفضه.

توقف قلبها للحظة.. لا سبيل للغلط في معنى التهديد وراء ملاحظته.

قالت كاتيا:

ـ أظن أن هذا رائع.. وإن كان من الصعب عليّ التصديق بأن لكاندرة حياة تغمرها الأسرار.. تصور.. كاندرة ستتزوج!

كان صوتها مشبعاً بالتعجب ويُفهم منه أن لا شيء سوى معجزة قد تتسبب بظروف غير معقولة كهذه.

سألها أدجر:

ـ ما هو الرائع في هذا؟ لا يبدو على كاندرة مثل هذا الاعتقاد.

نظرت كاندرة إلى أختها بإحباط.

ـ أنا.. لدي صداع.. هذا كل شيء.

قطب ريكس:

ـ أرجو ألا يكون هذا تلميحاً لي لأخرج.

قالت كاندرة بسرعة:

ـ لا.. أعرف أنك جئت لتضع الترتيبات.

قالت كاتيا:

ـ دعني أحضر لك قرصي أسبرين.

عادت بعد قليل مع القرصين وكوب ماء، ثم ابتسمت لريكس:

ـ لطالما أردت أن أحضر عرساً كبيراً.. ألا تظن أنني سأبدو رائعة في قبعة زهرية كبيرة؟

وضعت يدها على مؤخرة رأسها ووقفت لينظر إليها ريكس الذي كان يجلس على الصوفا إلى جانب كاندرة، وتمتم في أذنها:

ـ أنت على حق.. لها عنق جميل كالإوزة.

غاص قلب كاندرة وهي تشعر بالخطر يتهدد أختها، كاتيا جميلة بشعرها الأشقر الذي يستدير حول وجهها البيضاوي على شكل قلب، في فستان مائي اللون ساحر يماثل لون عينيها، وكانت تستقطب نظرة ريكس كمغناطيس.

قالت بخشونة أكثر مما تنوي:

ـ تعرفين أنني لا أستطيع تحمل مصاريف عرس كبير.
نظرت كاتيا بخجل إلى ريكس وقالت:
ـ أعرف أننا لا نستطيع، ظننت.. ربما السيد واردن..
قاطعتها كاندرة بسرعة: «ظنك خاطئ».
تغاضى ريكس عن احتجاج كاندرة:
ـ لا أرى سبباً يمنعني من الإنفاق على العرس. لكن بشرطين كاتيا.
سألت بلهفة: «ما هما؟».
ـ أولاً يجب أن تتوقفي عن مناداتي بالسيد واردن، فاسمي ريكس..
ثانياً.. يجب أن تعديني بارتداء فستان بلون الفستان الذي ترتدينه الآن.
احمرت بشكل جميل..
ـ ريكس.
والتفتت إلى كاندرة:
ـ ألن يكون هذا رائعاً؟ أستطيع الآن تخيل الفستان المناسب لك.. أبيض خالص وصفوف وصفوف من الكشاكش وتحملين باقة ورد زهري... منظر رومانسي جداً.
تزايد النبض المؤلم داخل صدغي كاندرة.
ـ لن يكون هناك عرس كبير..
قال ريكس:
ـ لكنني أصر على إقامة عرس كبير، حمراء. المرأة لا تتزوج سوى مرة واحدة.
ها قد عاد مجدداً التهديد المخبأ خلف كلمات رومانسية ولن تستطيع الجدال معه أمام العائلة دون كشف الحقيقة.
ـ حسن جداً.. سيكون لنا زفاف خيالي، لكنني سأدفع التكاليف.. وسأصنع الفساتين بنفسي.
قال أدجر متحدياً:
ـ أنا رجل العائلة.. وسأدفع التكاليف.

استدار ريكس ليصبح ظهره إلى أدجر:
ـ كاندرة.. لا تكوني عنيدة.. دعيني أرسل لك الفساتين وأدفع كلفة العرس.
تقلصت كاندرة نظرها بين وجه ريكس الساخر ووجه أدجر الأحمر الفاقع لصد ريكس له، ألا يرى أن عرض أخيها ليس سوى محاولة للتعويض عن تصرفاته أمام كاندرة؟
قالت متصلبة:
ـ أنا واثقة أن أدجر وأنا نستطيع تحمل مصاريف العرس.
نظرت إلى وجه شقيقتها المنخفض، وأضافت:
ـ لكن إذا أردت إرسال فستان لكاتيا، فأعتقد أن هذه مسألة بينكما.
برهنت كاتيا بسرعة عن قوة ولائها:
ـ لا.. إنه عرسك كاندرة.. وإذا أردت أن تخيطي لي الفستان، فلا بأس بهذا. ثم.. أنا أريد أن أرتدي ثوباً زهري اللون.
ضحك ريكس:
ـ حسن جداً.. كاندرة تكسب.
أشار برأسه إلى الباب:
ـ أنتما الاثنان.. اخرجا.. العريس المقبل يريد التحدث إلى زوجة المستقبل.
هرب أدجر فوراً.. لكن كاتيا ترددت لحظة قبل أن تتقدم من ريكس.
ـ أهلاً بك في العائلة ريكس.
وركضت خارجة من الغرفة.
قال ريكس بعد لحظات صمت:
ـ من الصعب التصديق أنها أختك.
ـ لأننا مختلفتان؟
ـ لم أكن أفكر بالمظهر، بل بالتصرفات. إنها أقل شكوكاً منك، وبريئة جداً.. توقعت أن تكون أكبر سناً.

- إنها في الثامنة عشرة فقط.

- أتعنين أنها لم تتعلم كيف تكون لصة بعد؟

صاحت:

- لم آخذ سوى مئة دولار.. أكنت تريد أن ينفد الوقود مني وسط نيو مكسيكو؟

- لا، حمراء.. بل كنت أفضل لو طلبت المال مني.

- لماذا تفعل كل هذا؟ لا يمكن أن تكون راغباً حقاً في الزواج مني بعد بقائك أعزب طوال هذه السنوات، لماذا تريد أن تربط نفسك بامرأة..

أنهى لها كلامها بسرعة:

- بامرأة أكرهها؟.. ربما السبب أنني تعبت من العزوبية.

- حتى ولو افترضنا أن هذا صحيح، فلا بد أن هناك الكثير من النساء في كولورادو توافقك لهذا.. الشرف.

ولم تترك نبرة صوتها أي مجال للشك بما تظنه يمثل هذا الشرف.

رد ريكس بلهجة ناعمة:

- ممكن.. لكن هناك عدة ميزات في اختياري لك.. آرين، أعرف أن وراء الواجهة الباردة إصبع ديناميت ينتظر أن ينفجر.. وأنا أتطلع شوقاً لإشعال الفتيل.

ردت بحدة:

- في هذه الحالة عليك الحذر لئلا تحرق نفسك.

ضحك ريكس.. وأصبح صوته قاسياً يخلو من المرح:

- لا أظن هذا حمراء.. أنت التي في خطر. عرفت هذا يومها وتعرفينه الآن.. في السابق هربت، لكن لا مجال للهرب هذه المرة.. سارقة جبانة. أم أن كل هذا التردد العذري مجرد تمثيلية؟

تجاهل شهقتها وأكمل:

- كانت خيبة أمل كبيرة لك عندما لم تجدي الكثير من المال في محفظتي. منعتها كبرياؤها من إشاحة نظرها بعيداً عنه.

- إذا كنت تعتقد أنني مجرمة، فلماذا تخطط للزواج مني؟

- لقد ارتكبت غلطة حمراء.. غلطة كبيرة.. لقد جعلتني أريدك، وبشكل سيء.. كل ما علي أن أفعله هو إغماض عيني لأتذكرك، وبالرغم من أنك حمراء شعر نارية لصة.. إلا أنني لا أريد أن أحرم من أن تكوني زوجتي.

لم تستطع كبح ارتجاف بسيط لكلماته.. صاحت:

- وحين تملّ مني.. ماذا بعد؟

ضحك:

- لا أتوقع أن أملّ منك، فأنا أنوي أن أجعلك تعملين جاهدة كي أبقى زوجاً سعيداً مكتفياً.. مع كل الوثائق التي تثبت أعمال أخيك اللصوصية.. ثم إنك أنت من قلت إن الزواج هو إبدال سجن بآخر.. كزوجة لي، ستعرفين تماماً مدى صدق تكهناتك!

• • •

rewity.com

٥ ـ الحب سلعة

كان الطقس في يوم عرس كاندرة حاراً وجافاً، وكانت شمس تموز المشرقة تغمر القاعة في الجوار حيث ستبادل حرية أدجر بحريتها. كان ريكس قد أصر على أن يتم الزواج في أسرع وقت ممكن، لكنه في النهاية وافق على طلب كاندرة للانتظار ريثما تنهي أعمالها في المدرسة.. مع ذلك لم يمر شهر حتى أوضح ريكس لها ما يخبئه لها المستقبل.

في البداية أراد أدجر أن يناقش معها أسباب زواجها الفاجىء، لكن كاندرة التي لم تكن يوماً بارعة في الكذب راوغته، إلى أن بدأ أدجر يتجنبها واضعاً اللوم في مزاجها السيء على قلق ما قبل الزواج.. حزنت كاندرة لاتساع الهوة بينها وبين شقيقها، وكادت أن تصل إلى كرهه لوضعه إياها في مثل هذا الموقف الكريه.. ولكنها في الوقت ذاته كانت تؤكد لنفسها تكراراً أنه لو عرف تضحيتها من أجله فلن يسمح بها، مع أن في أعماقها مخوفاً من أن يكون ضعيف الإرادة.

لامت كاندرة نفسها لعدم تنمية شجاعة أدجر.. لقد شب دون أب يرشده وتحت توجيه حازم من أخت كبرى لكل تصرفاته الأمر الذي لم يتح له الفرصة أبداً لأن يتعلم كيف يتخذ القرارات. كان يجب أن تسمح له بحرية أكثر وهو فتى، بحيث أنه حين يقرر شيئاً خاطئاً ويفشل يتعلم من أخطائه.. فهل من عجب أنه اتبع الطريق الأقل صعوبة؟ لقد أجبرته على الاعتماد عليها كثيراً دون تشجيعه على أن يكون رجل العائلة، وسيكون التخلي عنه الآن ظلماً فادحاً له نظراً للعواقب الوخيمة التي تنتظره.

كان صوت موسيقى «الأرغن» يملأ القاعة الصغيرة، ووقفت كاتيا أمام كاندرة ترتجف ترقباً.. مع أن العروس كان ينقصها إشراقة السعادة، فالوصيفة كانت مفرطة الفرح ومبتهجة جداً بالفستان الزهري الجميل والقبعة المماثلة التي وصلت إليها في علبة فاخرة من محلات «واردن».. ورأت كاندرة ريكس يقف في آخر القاعة، وكاتيا تبتسم له بمحبة ودفء.

مع بدء تحرك كاتيا في الممر بين المقاعد، انعكست صورة كاندرة إليها عبر باب زجاجي في ردهة القاعة.. كانت عروساً رائعة في ثوب حُفظ بكل الحب والتقدير لبمر من جيل إلى آخر.. ونظراً للظروف التي تتزوج فيها، كانت تنوي أن تصنع لنفسها ثوب عرس عصري.. لكن الجاذب الحنون للثوب الموروث أثبت قوته.. ولا مجال للإنكار بأنه يناسبها تماماً، فقد تحول لونه الأبيض الناصع مع مرور السنوات إلى لون عاجي تناسب بشكل رائع مع بشرتها الشاحبة العاجية.. ولم يكن للفستان طرحة مماثلة، لكنها وجدت قماش دانتيل مخرم قديم كان لأمها فثبتته فوق شعرها المربوط بانفلات فوق رأسها.

فكرت كاندرة بالفستان الأبيض الذي أرسله ريكس لها.. كان لونه أبيض كالثلج مع باردات وباردات من الكشاكش.. وربما هو مصمم لكاتيا وليس لكاندرة التي بدت بشرتها فيه شاحبة جداً إزاء بياضه الناصع، بينما الكشاكش لم تناسب شخصيتها يوماً.. وهكذا أعادته إلى المتجر مع رسالة رفض قاطعة.

تغيرت موسيقى «الارغن» دلالة على بدء دور كاندرة، فدست يدها في ذراع أدجر وبدأت تسير في الرواق باتجاه العريس.. لم يكن لديها في السنوات القائلة وقت يكفي لتحلم بأنها ستتزوج.. بل كانت تتوقع أن يكون لها زواج كزواج والديها.. وكان العريس مجرد صورة ضبابية لم تفكر بها كثيراً.. بدت لها المسيرة وكأنها لن تنتهي.. وخاطرت بنظرة مختلسة إلى ريكس فابتسم لها ابتسامة ساحرة، لكنها لاحظت أن عينيه تحملان غضباً بارداً.

مرت بقية اليوم ببطء على كاندرة، واضطرت إلى تحمل التقليد السخيف في إقامة حفل استقبال بمناسبة الزفاف مع الأصدقاء والجيران الذين كانوا يضجون فرحاً وراحت تفتح أكداساً من العلب البيضاء الملفوفة وتصيح لرؤية ما فيها بدهشة لم تكن تشعر بها. وثمة ضيوف انبهروا بالجو الرومانسي الزائف، فلم يوفروا أي تقليد عرائسي.. قطع قالب الحلوى، رمي باقة الزهر ورذاذ الأرز.. خلال كل هذا، كانت كاندرة مجبرة على الابتسام والضحك، والادعاء أنها غارقة في حب عميق وسعادة لا توصف بينما هي في الحقيقة تشعر بقلق متصلب بارد. وأرادت أن تصيح: ما بالكم جميعاً؟ ألا ترون أنني بائسة؟ هل كلكم عميان؟

أحست بارتياح كبير حين وجدت نفسها أخيراً لوحدها مع ريكس.. كان وداع كانيا وأدجر صعباً لا يطاق.. وابتسمت كانيا بشجاعة من خلال دموعها، لكن عناقها كان باكياً متشنجاً وكانت مشاكسة في إعطائها الأوامر لريكس بأن يعتني بكاندرة. ووعد أدجر أن يعتني بكانيا، قبل أن يعانق كاندرة بدوره، ثم مد يده إلى ريكس الذي صافحه بعد تردد قصير.. وحاولت كاندرة ابتلاع الغصة التي وقفت في حلقها عندما بدأت الطائرة الصغيرة تتحرك لتنقلهما إلى كولورادو.

قال لها: «اربطي حزام مقعدك».

أطاعته وبدأت تشد الحزام حولها:

ـ أنا آسفة لأن أحداً من أهلك لم يستطع المجيء لحضور الزفاف. لقد اتصلت أمك لتعتذر قائلة إن صحة والدك لا تسمح لهما بالسفر من كاليفورنيا في مثل هذا الوقت من السنة، كما شرحت أمر سفر أختك إلى أوروبا. كانت لطيفة معي، وأحسست أنني مخادعة. أعتقد أنك لم تقل لها الحقيقة حول زواجنا.

ـ أنت دقيقة الملاحظة.

ـ لماذا.. لم تقل لها؟

ـ أنت أيضاً لم تقولي الحقيقة لأخويك، أليس كذلك؟

ـ لا.

أدارت وجهها لتنظر إلى الخارج.

ـ هذا ما ظننته. كانيا شفافة جداً وكانت مسرورة بشكل واضح. أما أخوك فكان يجب أن يظهر بعض الندم لو عرف.. لكن ما شاهدته فيه كان الارتياح.. لماذا لم تخبريهما؟

ـ لم أجد سبباً لهذا.

ـ لا سبب؟ تذهبين إلى حد المخاطرة لأجل أخيك ولا تهتمين بأن تخبريه بتضحيتك؟

صاحت:

ـ لا تعرف شيئاً عن هذا.. أدجر ما كان سيسمح للزواج بأن يتم لو عرف الحقيقة.

ـ وهل أنت واثقة من هذا؟

ردت متحدية لتطمس شكوكها وشكوكه: «أجل».

ـ أوه.. ربما كنت خائفة من امتحان مدى إخلاصه الأخوي لك؟

نظرت كاندرة من النافذة دون أن ترى شيئاً.

ـ هذا.. قول كريه بشع ومؤلم.

قال بقسوة:

ـ تؤلم الحقيقة دائماً.. أنت لم تنقذي أخاك من أي شيء بزواجك مني.. سيعود إلى ارتكاب الفعل ذاته مرة أخرى.. فكيف ستنقذينه ساعتها؟ كان يجب أن تتركيه يواجه العواقب.

هزت رأسها:

ـ أنت مخطىء.. يعرف أدجر أن ما فعله خطأ.. حتى ولو أنني كنت مقصرة في إعطائه الإرشاد الأخلاقي المناسب، ربما حين كانت جدتي مريضة.. أو ربما أنني أعطيت كانيا كثيراً من وقتي.

تنهدت بقلق.. ثم أكملت:

ـ مهما كان السبب.. لم يكن باستطاعتي التخلي عنه حين احتاجني.

لقد اعتمد عليّ.. ثم، لولاي أنا..

قاطعها:

- لا يمكنك لوم نفسك.

- بلى.. يمكنني.. ما كان ليحدث أي شيء من هذا لولا أنني تهورت في السفر إلى آسبن، وما كنت الآن.. متزوجة.. منك.

- أستغرب أمر تلك الرحلة، فهي تبدو لي مخالفة لشخصيتك.. كاتيا، الجيران والجميع عرفوك كامرأة عاملة دونما وقت للهو ودون قرارات متهورة.

قالت كارهة:

- كلها أوصاف.. كاندرة المعتمد عليها.. كاندرة المسؤولة.. ما من أحد قال مرة: كاندرة المحبة للمرح، أو كاندرة المذهلة.. ولمرة واحدة أردت أن أكون مختلفة.. كنت قد تعبت كثيراً من حياتي.. المملة.. الجافة، والعطلاتي إلى آسبن بسبب نزوة لم يبدُ لي خطيراً في البداية. لكن.. فيما بعد.. التقيت بك، وكنت أول رجل..

ابتلعت ريقها:

- .. لم تعاملني كأنني مملة أو جافة. لقد تصرفت معي وكأنني.. مثيرة. عرفت أن هذا لم يكن واقعياً، وعرفت أنه لن يدوم.. لكن أعجبتني مقاربتك، وتوددك إليّ.. وبرزت كاندرة جريئة من لا مكان ولأول مرة في حياتي وراحت تحثني على الاستفادة من هذا الظرف وهذا ما فعلته إلى أن تذكرت كاتيا.. حتى ولو لم تعرف أبداً ما جرى، فأنا مدينة لها بأن أكون مسؤولة كما كنت ألح عليها دائماً أن تكون. أترى.. ظننت نفسي قادرة على تجاهل كاندرة العجوز المملة.. لكنها كانت مترسخة جداً في داخلي.

- أعتقد أن كاندرة الجريئة سرقت مالي وكاندرة المملة كتبت الرسالة.

أحست باللون الأحمر يصبغ وجهها:

- لو لم أفعل هذا لما غضبت جداً لأول هفوة يرتكبها أدجر.. وربما كنت طردته، لكن دون تهديده بالسجن.. أنت أردت أن تؤلمني وسرقة أدجر

أعطتك العذر المناسب.. أنت لم تكن مهتماً بمعاقبتي.

- أنا أكره السارقين، حمراء.

قالت ببطء:

- ليس هذا كل شيء.. أنت لست غاضباً بسبب المال.. أنت غضبت لأنني هربت منك.. رفضتك.

- لقد تعاملت مع الكثير من حالات الرفض في حياتي لكن ما أغضبني كان طريقة رفضك لي.. تسللت في منتصف الليل وكأنك كنت خائفة من أن أدخل إلى غرفتك وأعتدي عليك.. كان قول «لا» بطريقة ضخمة علامة مميزة لك.. أليس كذلك؟ مثل رفضك لثوب العرس. لقد كتبت كاتيا في رسالة شكر رقيقة على فستانها. كانت كوردة جميلة نضرة وهي تسير في حفلة العرس اليوم.. بينما أنت..

- بينما كنت أنا كورقة خريف عجفاء.

- بل كنت تبدين متعبة مع الهالات السوداء تحت عينيك.. وأراهن أنك فقدت كثيراً من الوزن منذ آخر مرة رأيتك فيها. لماذا لم ترتدي الفستان الذي أرسلته لك؟ كبرياء عنيدة؟ ظننت أن كل امرأة ترغب في أن تبدو بأفضل حلة يوم زفافها.. أنت لم ترتضي أن ترتدي كاتيا فستاناً غالي الثمن، فلماذا رفضت أنت؟

- لأن الفستان بدا كريهاً عليّ.. ماذا فعلت؟ هل اتصلت بالمتجر ووصفت كاتيا؟ ألم تستطع تصور كيف تبدو عروس المستقبل؟ كان أي رجل أعمى سيرى أنني أبدو مريضة فيه.

نظر إليها بحدة:

- وبما أنني لست أعمى، استنتجت أنني تعمدت إرسال فستان غير مناسب لك.. صحيح؟ ألم يخطر ببالك أنني اخترت ذلك الفستان بالذات لأن كاتيا قالت إنه سيناسبك تماماً؟

- لا.

- إذا كان الفستان لم يعجبك، كنت أرسلت لك واحداً آخر.

ـ فستان آخر مصمم لعروس شقراء صغيرة؟ لا.. شكراً.

نظر إلى وجهها بحدة:

ـ وهل أحسست بالإهانة لمجرد أن الثوب غير مناسب؟ ألهذا نبشت ذلك الثوب البالي القديم الذي ارتديته؟ كدت أدق عنقك ساعة رأيتك تسيرين فيه.. سلسلة محلات واردن كلها في تصرفك وأنت تتسوقين من سوق الملبوسات المستعملة؟

ـ قديم بال؟.. سأعلمك أن أمي وجدتي من قبلها وجدة أمي، تزوجن كلهن بهذا الثوب. كانت أمي تقول لي إن ارتداءه يجلب السعد للعروس وإنه رمز للحب والأمل والإيمان بأهمية الزواج.. وبارتدائي له اليوم.. وضعته بوصمة.. على الأرجح.

وتطلعت بحدة إلى خارج النافذة.. كانت سلسلة جبال تحتهما تدس قممها في السماء. وتقبل ريكس صحيفة من المضيفة وقال لكاندرة بلهجة ساخرة:

ـ لكنك لم تخرجي خاسرة.. منزل جديد، زوج تحسده معظم النساء مقبولاً.. سلسلة مخازن تجارية رهن إشارتك.. هذا دون ذكر الخلاص من الليالي الوحيدة.. فأنا لم أنس بعد كم أظهرت من سرور وأنت في كوخي.

التفتت إليه بسرعة وردت بشراسة:

ـ أنت مخطىء.. لقد كرهت تلك اللحظات.. لماذا هربت منك باعتقادك؟

ـ أخبريني.. لماذا؟

ـ لقد قلت هذا بنفسك.. رجل غريب وكابين خشبي معزول في الغابة.. ولا أحد يعرف أين أنا.. من الطبيعي أن أرغب في الهرب في أول فرصة ممكنة.. وكان كل شيء مزاحاً.. مجرد واجهة.. فأنا لم أرغب في أن تغضب.. فكيف لي أن أعرف أنك لست قاتلاً أو مغتصباً؟

ضحك دونما مرح:

ـ كاذبة، كنت أعرف تماماً متى كنت خائفة مني ومتى توقفت عن

الخوف.. أنا لم أفرض نفسي عليك أبداً.

ـ لم أقل إنك فرضت نفسك.

ـ إذن لا تتوقعي مني الشفقة الآن.

ـ لن أنكر في أن أطلب شفقتك.

ـ ولماذا تطلبينها؟ لو بقيت في توسكون، لكنت الآن منشغلة برعاية أخيك وأختك بحيث وقبل أن تعرفي ماذا يحدث، سيتزوجان ويتركانك لتربي لهما أطفالهما، وبهذا لن تتحرري أبداً.

ـ أنا لست حرة الآن.. أنا متزوجة.

ـ وأنا كذلك حراء.. وأنا كذلك.

فتح الصحيفة على قسم الأعمال وبدأ بالقراءة. نظرت كاندرة بذهول إلى رأسه المنحني.. بدا لها من آخر ملاحظاته وكأنه نادم على زواجهما. أيمكن أن يكون قد أدرك الآن أن زواجهما، لو كان سجناً لها، فلن يكون سوى قبر له؟ العالم مليء بالنساء الجميلات مثل كاتيا، ولا شك أنه قادر على الحصول على من يشاء منهن، وبدلاً من هذا.. ها هو عالق مع كاندرة.. يبدو أن الأقدار تضحك عليه الآن.. لكن ليتها فقط تستطيع أن تضحك معها.

قالت بسرعة:

ـ ريكس.. لماذا تزوجتني حقاً؟

ظلت للحظات أنه لم يسمعها، لكنه أخفض الصحيفة ونظر إليها:

ـ ولماذا يرأيك؟

ـ أعرف أنك كنت غاضباً..

ـ غاضب؟ حين دخلت إلى مكتبي أردت أن أدق عنقك.

ـ هذا ليس الأساس الجيد للزواج.. ألا زلت غاضباً مني؟

ـ لماذا لم ترفضي حين تقدمت بعرضي الغبي؟ لقد أظهرت نباهة أكثر ونحن في الكوخ.

ـ أتلومني على هذا الزواج؟ أنا لم أهدد شخصاً تحبه بالسجن!

- أتريدين أن تقولي لي إنك صدقت أنني سأنفذ تهديدي فعلاً؟
- طبعاً صدقت.. ولماذا تظن أنني تزوجتك؟
- لماذا حقاً؟
وضحك ساخراً:
- أشعر أنه صعب على غروري معرفة أن امرأة أجبرت على الزواج مني.
- ليس الوقت متأخراً على إلغائه.
- لا أجد سبباً لأن نفعل هذا على أي حال؟ ما المشكلة في بقائنا متزوجين؟ أنت تخلصت من حياتك المتعبة، وأنا حصلت على امرأة شابة تستقبلني في البيت بعد يوم عمل شاق.
- وماذا عن الحب؟
- الحب هو سلعة مبالغ في تقدير قيمتها كثيراً.. معظم أصدقائي تزوجوا لأجل الحب، ومعظمهم طلق لأنه لم يعلق زوجته.
- هذه وجهة نظر ساخرة جداً.
- إنها واقعية.. فالرجل يرى شقراء جميلة، والمرأة ترى ظهراً قوياً.. بعد أسبوعين من الزواج يدرك أنها ترغب في الرقص كل ليلة.. وتدرك هي أنه يشخر ليلاً.. وهذا ما يدفعها إلى الجنون.. وقبل أن يعيا، يجدان نفسيهما في محكمة الطلاق.
- وهل تشخر أنت؟
- تعرفين هذا، ولن تندهشي.
- هذا جنون.. لا أصدق أننا نتحدث بهذا. الشيء المنطقي هو أن نعترف الآن أننا اقترفنا غلطة، وأن نحل هذا الزواج قبل المضي به أكثر.
- وأنت دائماً متعقلة.. أليس كذلك؟
- لا داعي لأن تقول هذا وكأنه عيب لا يغتفر في شخصيتي.
تابع سخريته:
- أوليس هكذا؟ لقد قلت لي سابقاً إنك تكرهين أن يُظن بك دائماً أنك متعقلة.. ألم ينتهي بك الأمر إلى كوخي عن هذا الطريق؟

قالت بمرارة:
- وانظر ما كانت النتيجة.
- وما الذي حدث؟ لقد هربت قبل أن يحصل أي شيء.
أحست كاندرة بالاحمرار يلطخ خديها.
- تعرف ما أعني.. هذا.. نحن.. زواجنا.
شرح لها بهدوء.
- دعينا ننظر إلى هذا الزواج لدقائق.. حين تفكرين به حقاً، ستجدين أنه معقول. لا.. دعيني أنهي كلامي.. انسي أمر كبرياءك اللعينة لحظة واعترفي أنك ستكونين أفضل حالاً مالياً كزوجة لي. لقد كنت تحملين حملاً ثقيلاً جداً ولفترة طويلة، وتحتاجين الآن إلى مساعدتي.
قالت بحدة:
- أنا لا أحتاجك. لقد تدبرت أمري بشكل كامل دونك منذ سنوات.
- وأدجر هو المثال الكامل لنجاحك.
شحب وجهها:
- هذه ضربة غير مسموحة.
- لكنها الحقيقة.. ماذا كان سيحدث لأخيك لو لم أكن موجوداً حين اكتشفت جرائمه؟ والأكثر من هذا، أين ستكونين الآن لو لم أخرج في العاصفة تلك الليلة لأبحث عنك؟
لا مجال لإنكار صحة ما يقول.. وكاندرة مدينة له.. لكن.. زواج؟
- وماذا ستربح من زواجك بي؟ أنا لا أحبك.
- أعرف هذا.. الحقيقة أنني تعبت من العزوبية وأعتقد أنني كنت قادراً على إيجاد زوجة لي بكل سهولة، وسترغب أي امرأة أخرى في الرومانسية والتودد وكل هذه الأمور، ولكن بعد أن نتزوج ستتوقع مني أن أكون في الوقت المحدد للعشاء وأن أبقى قريباً منها في الحفلات وألا أنظر إلى امرأة أخرى، وتريدني أن أقضي كل أوقات فراغي معها.. وأنا لا أريد امرأة تتعلق بي أو تطالب بامتلاكي جسداً وروحاً.. على الأقل أنت متعقلة..

حين أكون مشغولاً، ستجلسين وتقرأين كتاباً.. وإذا انشغلت عنك فلماذا تهتمين؟ لقد اعترفت لتوك أنك لا تحبينني.

ردت بضعف:

ـ هذا جنون لا أستطيع التفكير به.

ـ لا.. الجنون هو رفضك للاقتراح.. فأنت لم تجدي بعد أي رد معقول ضده. ثم أنا لا أستطيع تحمل عناء أن أتزوج مرة أخرى، ولا نظرات النساء في المتجر أو ضحكاتهن الخفية المتسائلة، وكأن زواجي هو أهم حدث في حياتهن.

رفعت رأسها بالجاهد.. والتقت عينان مؤثرتان زرقاوان بعينين مضطربتين تركوازيتين.

ـ ألن توفري عليّ المرور بهذا كله مرة أخرى حراء؟

أحست كاندرة بمعدتها تتقلص فهزت رأسها محاولة التخلص من سحر نظرته ومعتبرة ما يطلبه منها خطأ وجنون ويجب ألا تفعله.. صوت من إذن الذي سمعته يوافق؟

كانت لا تزال تتساءل عن هذا بعد عدة ساعات وهي تتطلع مذهولة في غرفة النوم الكبيرة التي أرشدها ريكس إليها.. أثاث عصري فاخر ومدفأة معدنية سوداء كبيرة، ستائر معدنية رقيقة تغطي النوافذ الشمعة، وفوق الأرض جلد بقر مدبوغ بالأبيض والأسود.. حركت كاندرة أنفها بازدراء وبدت لها بعض الأبواب الزجاجية فاتجهت نحوها لتصل إلى شرفة يظهر خلفها الليل الأسود ولا تزينه سوى بضع نجوم. أحست كاندرة ببرد غامض فعادت إلى الداخل وراحت تنظر إلى السرير.. كان سريراً متسعاً بأربع قوائم مرتفعة مذهوناً بلون الغابات الأخضر القاتم، ومليئاً بوسائد وأغطية وشراشف مطرزة ومزينة بالدانتيل.. جلست كاندرة على حافة الفراش بحذر شديد، فتحرك تحتها الأمر الذي أجفلها وجعلها تقفز واقفة.. إنه فراش مائي!

في مواجهة أسفل السرير مرآة ذات إطار فضي مزخرف كانت تعكس

صورتها. لقد ترك توتر الشهر المنصرم وأيامه الطويلة المتعبة آثاره على وجهها.. لا عجب إذن أن مقارنة ريكس لها بكاتيا لم تكن في صالحها. كانت عيناها بؤرتين عميقتين في بشرة شاحبة متعبة، وتتسلل هنا وهناك خصل شعر أحمر من الكتلة المثبتة إلى أعلى الرأس والتي بدت لها فجأة ثقيلة وتؤلم رأسها بشكل لا يطاق.

أدارت وجهها عن صدق المرآة الذي لا يرحم وراحت تتطلع من جديد إلى محتويات الغرفة التي لم تشاهد غيرها في هذا المنزل الخشبي الكبير وقررت أن تستكشف بيتها الجديد في اليوم التالي.

حين وافقت على البقاء متزوجة منه والوفاء بمتطلباته كزوج، لم يبدُ لها الأمر صعباً هكذا.. أن تتكلم حين يريد، وتسكت حين لا يريد.. ولم تفكر أبداً بالجانب الآخر للزواج.. من القليل الذي تعرفه عن ريكس أنه يتوقع منها القيام بواجباتها الزوجية.. واجتاحها إحساس غريب من شوق العرائس اللواتي يتطلعن شوقاً ليلة زواجهن إلى لحظات تكون القمة في الثقة والعطاء كتعبير عن الحب المشترك. وأصيب قلبها بطعنة حسد شديدة.. دون حب، لن يكون زواجها من ريكس زواجاً حقيقياً.. واقتحمت أفكارها ذكريات الأوقات التي قضتها برفقته في كوخه. هل هذه مخيلتها أم إنها حقاً تسمع ضربات قلبها وصداه المرتج بين الجدران البيضاء؟

أبعدت كاندرة هذه الأفكار عنها وبدأت تخلع حذاءها وملابسها.. كان ريكس قد رمى لها متاعها عبر باب مشترك قائلاً إنها فترة تغيير الملابس قبل النزول إلى الطابق الأسفل ومراجعة بريده والرسائل. وفي وقت لا يُذكر، كانت قد أخرجت ثيابها القليلة وعلقتها في الخزانة الكبيرة ثم خرجت لتستحم وهي تفكر أنه بعد وصول بقية أغراضها فهي لن تتمكن من ملء نصف مساحتها..

بعد عودتها من الحمام وتجفيف نفسها ارتدت ثوب نوم قطني قديم.. دوامة التحضير للزفاف منعتها تقريباً من شراء ما يسمى بجهاز العروس.. ثم اندست بين الأغطية الناعمة تقاوم موجات قلق متعاقبة هددت أن

تجتاحها.. أخيراً خمدت تلك الموجات واستلقت كاندرة ترتجف على جانب صغير من السرير الكبير. طافت عيناها بالغرفة، إلى أن عادتا لتستقرا فوق بقعة مختلفة عن بقية الجدار وكأنها مكان لصورة أو لوحة.. وغفت وهي تتساءل أي صورة كانت، ولماذا انتزعها ريكس من هناك.

حين فتحت عينيها كانت الشمس قد بدأت تغزو الغرفة من بين الستائر.. أغمضت عينيها مرة أخرى ثم فتحتهما فجأة مصدومة.. إنها وحدها في السرير.. وحدها في الغرفة الواسعة.. لكن بضع شعرات سوداء على الوسادة إلى جانبها كانت دليلاً على أن ريكس أمضى ليلته إلى جانبها. فلماذا لم يوقظها؟

جلست ناسية أنها تنام على فراش مائي، وأمضت اللحظات التالية وهي تكافح لتخرج من السرير الذي بدا وكأنه مصمم على إبقائها فيه هذا الصباح كما كان مصمماً على إبقائها خارجه ليل أمس. انتصرت أخيراً وسارت على أطراف أصابع قدميها وكأنها خائفة أن يختفي ما تراه إن صدر عنها أي صوت.

كان بإمكانه أن يوقظها لكن من الواضح أنها كانت مخطئة في ظنها أنه يتوقع منها أن تكون زوجة بكل معنى الكلمة، وبكل تأكيد يبدو أن ليس لديه رغبة جامحة فيها.

أو حتى صحبتها. فكرت كاندرة بذلك وهي ترتدي بذلة رياضة زرقاء ثم نزلت إلى الأسفل لتكتشف أنها وحدها في منزل فارغ.. وجدت مذكّرة بخط أسود كبير موضوعة على الطاولة في المطبخ، هزت رأسها لتمحو صورة ريكس وهو يكتبها كما رأته يوقع اتفاق الزواج، وقرأت الرسالة: لقد ذهب إلى العمل وسيعود في وقت لاحق بعد الظهر، هناك طعام في البراد، وأنهى الرسالة بحرف «ر» كبير.. ابتلعت كاندرة ريقها بصعوبة.. ماذا كنت تتوقعين؟ ألم يوضح لك أنه أراد زوجة لا تتدخل في عمله؟ أو لهوه؟

بحلول الساعة الرابعة، كانت كاندرة قد تفحصت كل إنش من المنزل وكرهته بشدة، كان كله صارماً قاحلاً كغرفة النوم باستثناء غرفة مكتبه..

كان باب الغرفة مقفلاً لكنها أطلت إلى الداخل وتفحصتها. كان هناك جلد مدبوغ موضوع في أماكن متعددة وهو من الجلد القديم الموروث من العائلة.. بينما سجادة حمراء قانية شرقية وصفوف وصفوف من الكتب تدفىء الغرفة.. لسوء الحظ بدا أن هذه هي الكتب الوحيدة في المنزل.. ولأنها لم تكن معتادة على وقت فراغ طويل هكذا قررت كاندرة أن تغزو المكتبة لتأخذ كتاباً تقرأه.. كانت قد أكلت عدة مرات بعد أن أعطاها هواء الجبال شهية جيدة.. وجلست على الشرفة خارج غرفة النوم تلاحق حركة غزالين على السفح خلف المنزل، ثم أخذت قيلولة وهو شيء لم تفعله منذ كانت طفلة.. لكن هذا يكفي، سوف تدخل الآن لتأخذ كتاباً.. كانت يدها على مقبض الباب حين سمعت وقع خطى، فاستدارت لترى ريكس يتقدم عبر الردهة وهو يشد ربطة عنقه.

ـ حسناً.. أليست هذه «الجميلة النائمة»؟

أرجعت كاندرة يدها بسرعة عن مقبض الباب وكأنها احترقت.. فنقل ريكس نظره منها إلى الباب المقفل ورفع حاجبه، فتمتمت رداً على سؤال لم يطرحه.

ـ أنا.. كنت فقط.. أعني.. كتاب.. شيء أقرأه.

ـ هل هذا كل شيء؟ اعتقدت أنني ضبطتك متلبسة بسرقة فضية العائلة.

احمرت للهجة المزاح المزعج.

ـ أنا.. لا أريدك أن تظن أنني كنت أتطفل.. أو أو أي شيء آخر.

مرّ من أمامها وفتح الباب ثم دخل إلى الغرفة ورمى حقيبة أوراقه على المنضدة.

ـ أدخلي إليها في أي وقت تشائين.. فليس لدي أسرار مخبأة.

وضع كومة بريد على الطاولة وأخذ يبحث فيها.

وقفت كاندرة مرتبكة عند الباب، تتمنى لو أنه يعطيها فكرة عما يتوقعه منها. كونها أمينة مكتبة في مدرسة ثانوية، وتعاملها مع مراهقين

شبان مغرورين وشخصيات أخرى مختلفة، لم يحضرها للتعامل مع هذا الرجل. هل هو غاضب بسبب ليلة أمس؟ ربما يجب أن تعتذر.. لا.. كان بإمكانه أن يوقظها.

عادت إليها كلماته: إنه يريد زوجة تذهب لتقرأ كتاباً حين يكون مشغولاً.. حسن جداً، ستفعل هذا.. بغض النظر عن قلبها الخافق بشدة، سارت كاندرة بثبات إلى خزانة الكتب وبدأت تتفحص العناوين.

أحست فجأة بريكس يقف وراءها وبدأ ينتزع الدبابيس من شعرها المربوط في مؤخرة عنقها.. ثم سمعته يقول دون مجال للخطأ في التسلية التي تشوب صوته:

ـ أظنك نمت جيداً ليلة أمس.

حاولت إبقاء صوتها هادئاً:

ـ أجل.. شكراً لك.

ـ وأرجو أن تكوني ممتنة لأنني تركتك نائمة حتى وقت متأخر هذا الصباح.

ـ أجل طبعاً كنت ممتنة.

وعندما تقدم ريكس منها أكثر، تخلت عن بحثها عن كتاب وأمسكت حافة الرف أمامها، وتنفست كاندرة بعمق وهي تشم رائحة عطره الرجولي.

تمتم:

ـ حقاً؟ أم أن أملك خاب؟

ـ ولماذا يخيب أملي؟

ـ لقد خاب أملي أنا.. فالعريس يتوقع أن يجد عروسه مستيقظة منتظرة.

قالت تتنفس بصعوبة:

ـ ولماذا لم توقظني؟

ـ كان ملمس ثوب النوم رائعاً.

سألته وهي بالكاد تستطيع التنفس:

ـ ماذا تعني؟

رد بضحكة مخادعة صغيرة على سؤالها:

ـ هل ستقولين لي إنه ثوب ورثته عن جدتك لمباركة ليلة الزفاف؟

ـ لا.. لا..

ضحك ضحكة قصيرة متسلية:

ـ لا أعتقد هذا.

ـ لم أستطع شراء ثوب جديد.. ماذا عن تكاليف العرس، وكل شيء؟

ـ أعجب لماذا لم تخيطي فيه بضع رقع كي توصلي الرسالة.

استدارت عنه:

ـ أي رسالة؟

ـ أنني أجبرت فتاة صغيرة فقيرة على الزواج مني.. هل كان يجب أن أظهر الندم حين رأيت كم تبدين مثيرة للإشفاق؟

ـ بالطبع لا.

هل هو على حق؟ هل تعمدت ارتداء الثوب القديم للمشاكسة فقط؟ أمسك ذقنها بجبرها على الالتفات إليه.. وكرر ردها:

ـ بالطبع لا! لقد نسيت من تتكلم.. كاندرة المملة المحترمة التي لا خيال مثير لديها.. ومن الطبيعي أن ترتدي شيئاً مملاً محترماً. أليس هذا ما سترتديه أمينة المكتبة المتزمتة المملة؟

كان في صوته رنة تحدي.. واحمرت كاندرة غضباً لكلماته: المملة المحترمة كاندرة.. وثار شيء في داخلها، فخطت بعيداً عن قبضته وهي تقول ببرود مثلج:

ـ لا أدري ما يمكن لأمينة مكتبة متزمتة مملة أن ترتدي.

تقدمت كاندرة نحو الباب ثم استدارت لتواجهه وهي تضع يديها على خصرها.

ـ إذا كنت مهتماً.. فأنا في غرفة النوم.

لكن شجاعتها أخذت تخونها أمام النظرة المحترقة القاتمة من عينيه،

فركضت لتصعد الدرج.

لحق بها متكاسلاً بحيث كانت في الفراش لحظة وصل والأغطية فوق كتفيها.. وقال بصوت منخفض وهو يقف أمام السرير: أنا مهتم.

فيما بعد، استلقت كاندرة دون حراك، وكان ريكس صامتاً إلى جانبها.. خلال الأشهر القليلة الفائتة خطر لها أن تفكر بلقائهما برومانسية زائدة كأن تجعل منه مناسبة أكثر إثارة مما هي.. لكن زواجهما هو قطعاً غير عادي، مع أنها لا تستطيع أن تنكر الحب الرائع الذي أشعله ريكس في داخلها.. وتمنت لو تعرف ما إذا كان سعيداً بها.

تحرك ريكس إلى جانبها يسأل بصوت بارد: «من كان؟».

***

٦ ـ تلسع كالنحلة

سألت كاندرة مذهولة:

ـ من هو من؟

ـ لا تتظاهري بالخجل أمامي.. تعرفين من أعني، الرجل الذي عرفته بعد أن هربت من الكوخ.

تدحرج ريكس عن السرير، ودخل غرفة الملابس تاركاً كاندرة تقاوم الفراش وتنظر إليه بذهول:

ـ لكنك أول رجل في حياتي.. لا شك أنك تعرف ذلك.

قال ساخراً:

ـ أعرف.. أجل.

ـ لا أظن أنني أفهم ما تعنيه.

ظهر ريكس بباب الغرفة يربط حزام روب حول وسطه.

ـ لقد كنت بريئة كالأطفال وخجولة جداً عندما عرفتك في الكوخ، والآن أنت مختلفة كثيراً، وأصبحت فجأة تعرفين الكثير عن الحياة الزوجية.. وينتابني الفضول لمعرفة هوية معلمك، يجب أن يبنا على نجاح تلميذته.

ابتلعت كاندرة الضحكة التي أخذت تتكون في حنجرتها.. في لحظة يدعوها عملة محترمة وفي التالية يتهمها بأنها متهورة؟ صحيح أن هذا ليس من شأنه.. وأخبرته بهذا، فاستند إلى الباب ويداه في جيبي روبه ورد عليها:

ـ أنا زوجك.. ومن الطبيعي أن يكون من شأني معرفة الرجل الذي

كنت على علاقة به.

- في الوقت الحاضر.. أنت.. الماضي ليس من شأنك..

تحدت كاندرة الفراش المتحرك وجلست تحتضن وسادة إلى صدرها وتنظر إليه من تحت رموش منخفضة، وسألت بحلاوة مصطنعة:

- هل جرح هذا مشاعرك؟

- لا.

تسبب رده البارد القاطع بتلعثم كاندرة، وتلاشى صوتها غير مصدقة.

- ما الأمر..؟ هل ظننت أنني أمضيت وقتي أنسكع في الأزقة؟

- ولماذا لم تفعل؟

- أنسكع؟

والتوى فمه سخرية فتغاضت عن ذلك السؤال:

- لماذا لم تعاشر امرأة أخرى؟

- ربما لأنني أعرف كم قليل ما يعنيه هذا بالنسبة لامرأة.

استدار على عقبيه واختفى مجدداً في غرفة الملابس.

صعقت كاندرة من كلامه فخرجت من السرير متعثرة وارتدت روبها لتلحق به إلى غرفة الملابس وسألته بشراسة:

- أوه.. أنت تعرف أليس كذلك؟.. صحح لي معلوماتي إن كنت مخطئة! ألست أنت الرجل الذي أجبرني على الزواج بتهديدي بسجن أخي؟ ألست الرجل الذي يدعي أن الحب شعور زائل مبالغ في تقديره؟ فما الذي تعرفه عن الحب؟

أطلق ضحكة حادة:

- واضح أنني لا أعرف بقدر الرجل الذي تمكن من زيادة ثقافتك في هذا المجال.. من هو؟

لمعت عيناها غضباً:

- هو؟ أتعتقد أنني كنت قانعة بالتعلم من رجل واحد؟ كان هناك العشرات!

الصمت المطبق الذي واجه ادعائها قطعه صوت تحطم فرشاة الشعر على الجدار، وتهاوى ريكس على الخزانة ينظر إلى قبضته البيضاء العقد.

- إنها غلطتي.. كنت أعرف براءتك وما كان يجب أن أقول ما قلته.

استدار بمرر إصبعاً على خدها: «أنا آسف».

لم يكن هناك مجال للشك في صدقه، وأحست كاندرة فوراً بالخجل من نفسها.. لقد تعمدت خداعه بسبب غضبها من افتراضاته. صحيح أنه كان على خطأ إنما هذا لا يعذر تصرفها.. مع أنه ربما يستأهل أن يُعاقب قليلاً على استنتاجاته المسيئة للكرامة.. نظرت إليه من تحت رموشها المنخفضة:

- أنت من قلت إن علي العمل جاهدة لأبقيك زوجاً راضياً.. ولم أكن أعتقد أن لي ما يكفي.. من المعرفة.. لأرضيك طويلاً، لذا من الطبيعي لأمينة مكتبة أن تقوم ببعض الأبحاث.

- أتقولين إنك لجأت إلى رجال آخرين لتعرفي كيف تجعليني سعيداً؟ ألم يخطر برأسك السخيف الأحمر أن تسأليني ما الذي يرضيني؟

- لم أجأ إلى رجال فقط.. بل نساء أيضاً.

كانت عيناه قطعتي جلمود أسود وهو ينظر إليها.

- أنت كاذبة.. أنت لم.. ليس مع نساء.

- ولم لا؟ النساء يعرفن هذا كذلك.

عرفت على الفور من الغضب المثلج على وجهه أنها تمادت كثيراً.

- قلت لك إنني أمينة مكتبة.. وفعلت كل ما يفعله أمناء المكتبات حين يريدون معرفة شيء ما.. إنهم يقرأون الكتب.

- الكتب؟ قرأت كتاباً عن الحب والعلاقات الزوجية؟

- ليس كتاباً، بل كتباً كثيرة. بعضها كتب رجال والبعض الآخر نساء.. ولسوف يذهلك عدد الكتب الموجودة عن هذا الموضوع في المكتبة.

- كيف لجأت إلى مثل هذه الكتب.

- ولم لا؟ ثمة كتب عن كيفية القيام بأي شيء. ما عليك سوى أن تفتش.

- إذن لم تكوني على علاقة مع رجل آخر؟

- أنت سريع التمسك بفكرة ما بقدر ما أنت سريع في القفز إلى استنتاجات قذرة.

التوت شفتاه بابتسامة لعينة:

- هذا ما يعجبني فيك حمراء. قد لا يكون لك عنق كعنق الأوزة.. لكنك تفلتين دوماً ببراعة.

- معظم الأزواج لا ينظرون إلى هذا كمساعد في نجاح الزواج.

- لكنني لست كمعظم الأزواج، أليس كذلك؟

هذا مؤكد.. كانت تفكر بهذا فيما بعد وهي في المطبخ تشرب عصير البرتقال بينما يقطع ريكس الخضار للسلطة. كان قد رفض أن تساعده مصراً على حاجتها إلى الراحة بعد جهد التحضير للزفاف.. وكان عليها أن تعترف أنه أكثر من كفوء في المطبخ..

سألها وهو ينبل الخضار:

- ما رأيك بالمنزل؟

- إنه بالتأكيد مختلف عما أنا معتادة عليه. كبير وحديث.. ولاكون صادقة، هادىء و.. فارغ.. أنا معتادة على ضجيج أكثر.. كانيا وأدجر يضجان في المنزل مع رفاقهما.. وأنا كنت أعتقد أنني كثيرة التذمر بخصوص صوت التلفزيون.. حتى أنني افتقد نباح براوني.

- أنت من قرر تركه في توسكون.

- أعرف.. إنه القرار الصائب.. سيحميه كانيا حين تكون لوحدها.

- لا أظنها ستكون وحدها كثيراً.

- ماذا تعني؟

- كانيا كالفراشة الجميلة وسوف يلاحقها أعداد كبيرة من الرجال وكل منهم بأمل أن يكون محظوظاً بالحصول عليها.

هبط قلب كاندرة بين قدميها. كادت تنسى أن ريكس أعجب بصورتها حين رآها على طاولة أدجر.. قالت بصوت هادىء محاولة إخفاء انزعاجها

من كلام ريكس:

- يبدو أنك فكرت بهذا كثيراً.

وضع ريكس شريحة اللحم الساخنة على الطاولة.. وقال:

- لقد أذهلني كيف أن أختين من نفس الأم والأب يمكن أن تكونا مختلفتين هكذا.

- أنا لم أتظاهر يوماً بأنني فراشة.

جاء بالبطاطس:

- لا.. أنت تشبهين النحلة.. عاملة نشيطة معتمد عليها.

مر من خلفها وشد لها خصلة شعر:

- وكالنحلة تماماً.. تلسعين بذنبك.

- أعتقد أن هذا إشارة إلى طبعي الحامي.

غيّر الموضوع وراح يخبرها عن يوم عمله، وبعد العشاء دخل إلى مكتبه قائلاً إن لديه بعض الأوراق للمراجعة.. ولاحظت كاندرة أن حاجتها إلى الراحة لم تعفها من تنظيف الصحون. أخيراً، مدفوعة بالوحدة دخلت إلى مكتبه.. رفع رأسه وابتسم لها دون وعي قبل أن يعود إلى أوراقه، فأحست أنها على الأقل ليست غير مرحب بها، فاختارت كتاباً عن كولورادو وتكورت في مقعد جلدي قديم.

فجأة رمى كيساً إلى حجرها.

- ما هذا؟

- افتحيه فتعرفين.

مدت يدها داخل الكيس لتخرج محتوياته، فهبط إلى حجرها فستان نوم حريري بلون الخوخ:

- أوه.. ريكس.. إنه رائع.. شكراً لك.

قال بمازحها والإزعاج الخفيف في صوته:

- لم أرغب في المخاطرة بإفساد إرث عائلي.

احمر وجه كاندرة لإشارته إلى ثوب نومها القديم، ورفضت أن تسمح

له أن يدفعها إلى الدفاع عن نفسها.

ـ بما أنك كنت لطيفاً بحيث اشتريته لي، فيجب على الأقل أن أرتديه.

ـ هذا إذا كنت لا تمانعين.

ـ أعرف واجباتي.

واتجهت إلى الباب، لكنه سبقها إليه ووقف في طريقها قائلاً:

ـ يبدو أن الساعات التي أمضيتها في البحوث كانت مثمرة.. أيمكن أن أساعدك؟

أحست أنها تغرق في عينيه الزرقاوين اللتين لا قرار لهما.

ورن جرس الهاتف فكشر ريكس.

ـ سأصعد إليك في أسرع وقت ممكن.. جربي الثوب.

ـ حسناً.. سأفعل.

صعدت الدرج مغمومة وثوب النوم يتدلى على ذراعها.. تباً للهاتف.

انتظرت في غرفتها ما بدا لها دهراً لا ينتهي دون أثر لريكس، ولم تعد تستطيع تأخير تجربة ثوب النوم أكثر من هذا.. خلعت ثيابها والتقطت ثوب النوم تدسه فوق رأسها تبتهج بملمس الحرير البارد.. وصدمتها موجة خيبة أمل وهي تنظر في المرآة إلى الثوب الذي لا يمكن أن يُصنّف بأقل من محترم.. كيس من القماش الخوخي يصل إلى الأرض بالكاد يظهر تفاصيل جسمها بينما يغطي قماش الدانتيل كتفيها.. وأرادت أن تصرخ للعالم أجمع: إنه قديم الزي، غير مثير، ومملّ.

صاح ريكس من الأسفل:

ـ كاندرة! كاتيا على الهاتف.

هبطت معنويات كاندرة أكثر فأكثر.. كان يتحدث على الهاتف مع كاتيا طوال الوقت. أهذا لم يكن تواقاً لإنهاء الحديث والصعود إلى غرفة النوم حيث تنتظره زوجته العادية الجمال المتعقلة؟

كان سلك الهاتف ممتداً قرب السرير وجاءها صوت كاتيا مرحاً:

ـ كاندرة.. آسفة لإزعاجك.. لكن أدجر ليس في البيت وأنا لا أتذكر

كيف أدير جهاز الفيديو، وهناك فيلم رائع الليلة أريد تسجيله.

جاء صوت كاندرة حاداً أكثر مما تنوي.

ـ لماذا لم تسألي الجيران؟

أرسل الصمت المؤلم الذي جاء عبر الهاتف موجة ندم اجتاحت كاندرة.. لم تكن غلطة كاتيا أن ريكس يفضل الحديث معها على رفقة كاندرة.. سارعت تكمل:

ـ كاتيا، في المستقبل أرجو أن تتذكري أنني وريكس في شهر العسل.. فابتعدي عن المخابرات الهاتفية لفترة.. واضح؟

كان صوت السخرية واضحاً في الرد:

ـ قال ريكس أن أتصل ساعة أشاء إذا واجهت مشكلة، أو أي شيء طارىء.

ـ وهل تعتقدين أن هذا فعلاً أمر طارىء؟

ساد صمت طويل، ثم: «لا..».

ـ لا زلت أحبك وأدجر.. حتى ولو تزوجت، لكن الأسابيع الأولى من الزواج إلى أن أعتاد العيش مع غريب.. تأخذ الكثير من الجهد.

سألت كاتيا متلهفة:

ـ وما هو الإحساس بالزواج؟ ريكس وسيم جداً.. وأريد أن أتزوج رجلاً مثله تماماً.. هل تعيشين في قصر ولديك الكثير من الخدم يقومون بكل شيء عنك؟

ردت كاندرة بوقار:

ـ ستكرهين هذا.. إنهم يحضرون لي الحمام، ويقطعون اللحم.. الثراء موحش ممل خاصة بوجود من يخدمك في كل شيء.

قالت كاتيا ممازحة:

ـ أراهن أن هذا يشوقك إلى فرن وسخ تنظفيه.

ـ ليس إلى هذه الدرجة من الوحشة والملل.

ضحكت كاتيا.. وأنهت الأختان المكالمة بوداع سعيد، وأعادت كاندرة

السماعة بابتسامة.

حين دخل ريكس إلى غرفة النوم انتظرت منه أن يعلق على ثوب النوم، لكنها سرعان ما اكتشفت أن أفكاره كانت مشغولة بموضوع مختلف تماماً عندما قال وهو يطفيء المصباح قرب السرير.

- متى ستعاملين كاتيا كامرأة ناضجة؟

فاجأها الغضب في صوته، فنظرت إليه في الظلمة بدهشة وقالت بلهجة مدافعة:

- إنها لا تزال طفلة.

- إنها في الثامنة عشرة.. في عمر يؤهلها لأن تعيش حياتها الخاصة.. دعيها تتعامل مع أخطائها بنفسها.

سألت بمرارة:

- ومن سيساعدها حين تقع؟

- لقد أبقيتها طويلاً تحت سيطرتك.. فماذا ستفعلين الآن؟ هل ستربطينها بك بأسلاك الهاتف؟

- بالطبع لا.. الأمر فقط أنني.. أشعر وكأنني تخليت عنها.. بالزواج فجأة. هناك أشياء كثيرة تجهلها.. إنها لا تعرف الحياة.

- ما من فتاة ناضجة في الثامنة عشرة، لا تعرف الحياة.. لو سألتني..

- حسناً.. لم أسألك..

وتهدج صوتها تكاد تبكي:

- .. إنهما عائلتي الوحيدة.

- ولا تتقبلين نصيحة من غريب.. أليس كذلك؟

تحركت قليلاً في السرير.. كان صوته بارداً غير ودّي في الظلام.

- لم أقل هذا.. أنا.. أقدر لك رغبتك في المساعدة، لكن.. أستطيع معالجة الموقف بنفسي.

رد بجفاء:

- أنت لا تعرفين ما هو الموقف أصلاً.

صاحت:

- وماذا يعني هذا؟

- يعني.. أنني متعب جداً الليلة.. نامي.

رقدت كاندرة بصمت تفكر بكلمات ريكس. إنها لا تريده أن يؤمن بأن آراءه لا أهمية لها كما الغريب، إنما بكل بساطة تعتبر أن لديه الكثير من الأشغال ليزعج نفسه بمشاكل عائلتها.. قالت:

- دعني أفسر لك.

وجاءها شخرة نفاد صبر من الجهة الأخرى من السرير.

كانت الوسادة ككتلة حطب تحت رأسها.. لا يمكن أن يكون ريكس مستاءً إلى هذا الحد.. إنه نائم، وظهره إليها.. ابتلعت ضحكة هستيرية.. هامي لم يمر على زواجهما يومان، وزوجها متعب جداً.

كان يمكن لأي شخص أن يؤكد أنهما متزوجان منذ سنوات إن رآهما جالسين حول مائدة الفطور يبحثان تنبؤات طقس اليوم.

وقف ريكس يقول:

- يجب أن أخرج بسرعة وأترك لك أمر الصحون.

- بالتأكيد.

ضحك:

- سيعود جونو وماورين غداً.. جونو هو من أقلنا من دنفر.. إنه سائقي ويهتم بالحديقة وكل الأعمال الطارئة الأخرى في المنزل.. ماورين هي زوجته وتأتي يومياً لتنظف البيت وتطهو العشاء.

- بالتأكيد لم تعد بحاجة إلى من ينظف ويطهو الآن وأنا هنا.

لكزها بخفة على ذقنها:

- أنا لم أتزوج لأحصل على طباخة.

ثم خرج من الباب الخلفي.

جعلها النهار الطويل الفارغ ممتنة للمجموعة الواسعة من الكتب التي يمتلكها ريكس.. ولم تستطع كاندرة أن تتصور متى يجد ريكس الوقت

ليقرأها.

عاد ريكس إلى المنزل مبكراً.. وكانت منغمسة في قراءة كتاب فلم تسمع وصوله وأجفلت للمسته الخفيفة على رأسها.

- مرحباً.. ما رأيك بالقيام بجولة لرؤية المناظر في البلدة؟

مدت ساقيها من الوضعية المكورة التي اعتادت القراءة فيها، ثم قطبت بكسل:

- سأحب هذا.. دعني فقط أصلح زينتي.

رمى حقيبة أوراقه على الطاولة، وانتزع نظارته الشمسية.

- لا تخفي كل النمش!

وأخذ يبحث في بريده.

نظرت كاندرة إلى وجهها النمش في المرآة. وكأنما تستطيع إخفاءه كله! يا لقوله الغريب.. وكانت لا تزال محتارة لقوله حين عادت لتنضم إليه في سيارته الصغيرة السوداء الرياضية.. كان الوقت منتصف بعد الظهر والجوار هادئاً وكأنما الحرارة المرتفعة أبعدت كل الأطفال إلى داخل بيوتهم.. كانت المروج خضراء زمردية، بعضها تحده مساكب زهور مبهجة الألوان، وأخرى تزينها الصخور والغابات. المنزل نفسه المكسو بالصنوبر مزيج من الطراز الحديث والطراز الفيكتوري في الهندسة.

حين أخبرته كاندرة عن تعجبها للهدوء المخيم في الجوار، قال لها وفمه ملوي بجفاء ساخر:

- إنهم يحترمون شهر عسلنا الآن.

- هذا لطف منهم.

استدار بسيارته إلى شارع عريض، وراحت كاندرة تتطلع حولها باهتمام، بينما كان ريكس يشير إلى أهم المعالم المحلية.

استدار إلى منطقة ضخمة المباني وأشار إلى أحدها قائلاً:

- هذه جامعة كولورادو.. ربما ستحب كاتيا أن تدرس هنا.

- أظنها مصممة على الالتحاق بجامعة أريزونا.. سيذهب معظم

أصدقائها إلى هناك.

- إنها مجرد فكرة.

نظرت كاندرة بأسف إلى التلامذة وهم يعبرون الجسر.. وأحست أنها أكبر بمئة سنة من الشبان الضاحكين يخفة تخلو من الهموم كالماء الجاري تحت الجسر. تمتعوا بأنفسكم الآن، قبل أن تكتشفوا قساوة وقائع الحياة!

بعد دقائق أوقف ريكس السيارة بهدوء:

- ها قد وصلنا.

نظرت حولها بذهول.. كانا في جوار بيوت ضخمة قديمة وشارع عريض مقسوم في الوسط تحف به أشجار صنوبر ضخمة.. إلى جانبهما مباشرة منزل أبيض كبير متسع، مثلث السقف من الطراز الفيكتوري تمتد أمامه شرفات مسقوفة بيضاء، ويحيط سياج من الحديد المشغول المزخرف بعرجة مزركشة تنتشر فيها مساكب زهور ملونة حول المبنى ذي الطابقين، وقالت:

- المنزل جميل.

- بناه جدي الأكبر عام ١٨٩٢، أنا وجدي، وأبي، وبينا هنا.. وأخشى أن نضطر إلى تأخير جولة استكشافية فيه إلى حين عودة شقيقتي.

- لا أكاد أستطيع الانتظار.. يبدو لي جميلاً. هل أنت آسف لحصولها على منزل العائلة؟ لا بد أن لديك الكثير من الذكريات هنا.

- سأحتفظ دائماً بالذكريات، حتى ولو لم يكن المنزل لي.

نظرت كاندرة إلى المنزل بأسف:

- لا بد أن من الرائع أن يكون للمرء جذور مثلك.. فمنذ نزلت أسرة فولكنر فوق الأرض الأميركية وهي تنتقل من مكان إلى آخر. كانت جدتي تقول إن أسرة ماكروغر، عائلتها، كانت سيئة مثل عائلتنا.. لقد عشنا في كانساس، أو كلاهوما، نيو مكسيكو قبل أن نستقر في توسكون، وكنت يومها في العاشرة من عمري.. ولم أشعر يوماً أنني أنتمي إلى أي مكان.. أما الأقارب فأعتقد أنهم منتشرون في كل مكان لكنني لا أعرف أحداً منهم.

نظرت إلى ريكس المنشغل بالنظر إلى المنزل.

ـ أعتقد أن هذا سبب ترددي في أن أترك أدجر وكاتيا وحدهما.

أدار السيارة قائلاً:

ـ بإمكانك الآن البدء في إنشاء عائلتك الخاصة.

نظرت كاندرة إليه.. إنهما لم يبحثا من قبل مسألة إنجاب الأطفال.. فجأة أخذت تتصور صورة مصغرة له بشعره الأسود، لكن بمزاياها هي، تصميمه هو وطبعها الخاص هي. طفل يتحدى صبر أمه.. طفل يسرق قلب أمه.

وقاطع ريكس أفكارها:

ـ سآخذك إلى المكتبة العامة حين يكون لدينا متسع من الوقت.

ـ سيعجبني هذا.

ـ وسنؤخر زيارة سوق «مال كراول» إلى يوم آخر.

أشار إلى شارع معبد بالآجر مقفل بوجه السيارات على جانبيهما.

ـ هذا مركز السوق الرئيسي لشارع «بيرل»، في منتصفه إلى اليمين محلات واردن. أما متجرنا الكبير الجديد فهو في «كروسرودمال» لكننا استبقينا المتجر القديم المبني عام ١٨٨٩ وجعلنا المكتب الرئيسي فوقه.. الطابقين السفليين هما من متاجر واردن المصغرة ولا زلنا نحاول أن نقرر ماذا سنفعل بهما.

كانت كاندرة بعيدة النظر بحيث فهمت أن تولي إدارة أعمال العائلة ليس أمراً سهلاً كما يتصور الناظر إليه من بعيد.. وهي تعرف تماماً أن ريكس عمل بمشقة لهذا ويستحق كل مكافأة حصل عليها.

في طريقهما إلى المنزل، اقترح ريكس أن يتوقفا لشراء شيئاً للعشاء. لكن «البانيه» المرتفع الثمن، واللحم البارد، والخبز والجبن التي ملأ بها السيارة، جعلها تضحك.. قالت وهما يتوقفان أمام المنزل.

ـ أرى أنك لا تعرف معنى الاقتصاد.. أما أنا فكنت سأختار القليل منها مع خبز مقطع.

ـ إذن من الجيد أنني كنت معك لتتعلمي كيف تعيشين قليلاً.

نظرت كاندرة غير مصدقة إلى اللفافات التي أفرغها ريكس على الطاولة والتي بدت وكأنها تضاعفت.

ـ لو أنني أكلت كل هذا فلن أعيش قليلاً فقط بل سأكبر كثيراً.

كانا لا زالا يضحكان ويتبادلان المزاح خلال تناول الطعام، حين رن جرس الهاتف. وقبل أن يرد ريكس، عرفت كاندرة بقلب غائص من المتكلم، وأعطاها السماعة ونظرة تساؤل على وجهه.. أرادت أن تصيح به: لا تنظر إليّ هكذا.. إنني مسؤولة عنها. لن أستطيع التظاهر بأنها لم تعد شقيقتي لأنني متزوجة الآن.

قالت كاتيا بعجلة:

ـ صدقاً كاندرة هذه مسألة طارئة ولن تأخذ أكثر من دقيقة.. لقد التقيت اليوم أروع رجل في مكان عملي، وتحدثنا ثم دعوته إلى العشاء مع أدجر مساء الغد.. ولا أستطيع أن أجد كتاب الطهو الذي كان لجدتنا.. أتعرفين أين هو؟

اضطرت كاندرة أن تضحك.. ثم حلت الأمر الطارىء، وأقفلت السماعة ثم التفتت لتواجه ريكس.. لكنه كان قد اختفى.. إنما الصحون الوسخة لم تختفِ.

أنهت تنظيف المطبخ ودخلت إلى المكتبة لتجد ريكس مشغولاً بأوراقه، فأخذت كتاباً وصعدت إلى غرفة النوم حيث ارتدت قميص النوم المحتشم الخوخي واستقرت في السرير لتقرأ. مرت ساعات قبل أن تسمع وقع أقدام ريكس على الدرج فادعت الاهتمام بالكتاب.

سألها بدهشة:

ـ ألا زلت صاحية؟

ألمها تلميحه إلى أنه كان يأمل أن تكون نائمة، وقالت تتثاءب: «تقريباً».

إذا كان يريد عذراً كي يتجنبها الليلة فستعطيه العذر.. ومت الكتاب إلى الأرض وألقت رأسها على الوسادة مغمضة عينيها. وما إن دخل ريكس

إلى غرفة الملابس حتى فتحتهما وبدا لها الجدار والرقعة المختلفة اللون فيه..

حين عاد ريكس ليقف قرب السرير سألت:

ـ ماذا كان معلقاً هناك؟

رد بحقلاً: أين؟

أشارت بيدها إلى الرقعة فوق السرير:

ـ يمكنك أن ترى بنفسك أن لها لوناً مختلفاً عن بقية الجدار.

ـ أنت دقيقة للملاحظة.

واندس في السرير مطفئاً النور ليترك الغرفة في الظلام.

تابعت التساؤل: حسناً؟

ـ صورة.

ـ صورة ماذا؟

ـ أنت حشرية.. ألست كذلك؟

فجأة تذكرت الصور التي تزين غرفة نوم أدجر وضحكت.

ـ كانت صورة امرأة غير محتشمة.. أليس كذلك؟

قال بمرح:

ـ يا لتفكيرك القذر سيدة واردن.

استدار إليها:

ـ فلترى إذا كان بالإمكان استخدام مخيلتك في أمور أفضل من التفكير بصورة على الجدار.

تتابعت الأيام على شاكلة متشابهة. كانا يتناولان الفطور معاً، أفكار ريكس دائماً مشغولة باليوم الذي ينتظره. حين كان يستطيع كان يعود إلى المنزل باكراً ويعرف كاندرة على المزيد من معالم المدينة وأخذها إلى الفرع الرئيسي للمكتبة العامة بولدر.

وكما وعدها، سارا في «بولدر مول» في إحدى الأمسيات وتفرجت على واجهات محلات واردن.. ولم يمس كذلك المناظر الجيولوجية للمنطقة..

ظاهرياً، كانت حياتهما تسير بهدوء مميز، وأخذت صورة ريكس

الغاضب في مكتب توسكون تتلاشى ليحل مكانها الرجل الذي أنقذها في الجبال. وأقنعت كاندرة نفسها أن لديها الزواج المثالي والزوج الساحر الذي يتكبد المشقة دائماً لتسليتها.. ومنزل حديث ضخم كبير، نفذ ديكوره خبير، وينظفه لها الآخرون. لم تعد بحاجة إلى التفكير كيف ستدفع الفواتير، ولا مزيد من المخاوف. إنها في الواقع حياة مثالية.. لكن لماذا تحس بعدم الرضى؟ لديها كل شيء.. مع ذلك فهي تشعر أحياناً أن هناك ما ينقص في حياتها.. ويجب أن تتجاهل هذا الإحساس.

لكن ما هو أصعب من أن تتجاهله، كان الاكتشاف الذي وجدته في خزانة ريكس وأدراجه. بعد ظهر يوم، قابلت ماورين على الدرج وأخذت منها كومة غسيل نظيف كانت ستوصلها إلى غرفة نومهما.. وبعد ترتيبها للابسها أدارت اهتمامها إلى ملابس ريكس.. لم تكن قد تطلعت إلى خزانته وأدراجه من قبل، وأحست بارتياح وهي ترتب جواربه وتغلس قمصانه. وجاءتها الصدمة حين كانت تبحث عن المكان الذي يضع فيه مناديله.. في أحد الأدراج، ثوب نوم ناعم من الباتيستا القطنية مطوي بترتيب وروب فضفاض مماثل.. الطقم مطرز بزهور زهرية وزرقاء.. إنه مصمم لشقراء جميلة.. مثل كاتيا.. الأسوأ أكثر، ما كان تحته.. ثوب حريري فضفاض مذهب مطبع بألوان مختلفة. أقفلت كاندرة الدرج بقوة.. واضح أن هذه تذكارات من ماضيه ولا يجب أن تفكر بها أبداً.

قول سهل.. نظرت كاندرة إلى ريكس تتأمله من تحت رموشها.. مجرد منظره يقف هناك بمريلة فوق ثياب رياضية أعطاها شعوراً عميقاً شديد التوق.. هل هكذا كانت تحس المرأة التي كانت ترتدي ذلك الثوب الأبيض؟ ما شكل تلك المرأة التي كانت ترتدي الثوب الذهبي؟ متألقة، جميلة مرغوبة؟ ألا يزال يفكر بها؟ الأسوأ من هذا كله، هل يفكر بتلك المرأة وهو معها؟ كانت الفكرة مؤلمة إلى حدود اليأس.

قال ريكس يقاطع أفكارها:

ـ آسف لاضطراري إلى إلغاء خططنا لبعد ظهر اليوم فقد وصل زبوننا

القادم من الشرق باكراً. ماذا فعلت اليوم؟

- قرأت، قطفت بضع زهور.. تمشيت خلف المنزل.. راقبت الطيور.. ولعبت الورق.

وأملت ألا يكون لاحظ نبرة عدم الرضى في صوتها.. لكنه سأل:

ضجرت؟

- تعتقد ماورين أنني أضعف من أن أساعدها في المنزل.. تقول: «اذهبي واقطفي بعض الزهور». هذا المنزل سرعان ما سيبدو مليئاً بالزهور، وبينما يسمح لي جونو بقطفها فهو يحرّم عليّ التقاط العشب الضار.. قد تظن أنها مساكب زهوره الخاصة.

ضحك ريكس وهو ينقل اللحم إلى طبقيهما:

- يجب أن تواجهي الواقع.. إنها له.. حين انتقلت إلى هنا اقترحت زرع بعض النباتات.. وأصغى إليّ جونو بكل احترام ثم ذهب ليزرع ما كان ينوي زرعه.

- وماذا قلت له؟

- لا شيء.. كنت قد اكتشفت أن ما أردت زرعه لا ينمو إلا في مناخ نصف استوائي.

ابتسمت:

- كان يجب أن يقول لك.

- جونو لا يعتقد أن من واجباته الجدال معي.. ولقد تعلمت درسي. يعرف عمله وأنا أتركه وشأنه ليفعل ما يريد.. والنتيجة أن لدي أجمل مساكب زهور في البلدة.

نظر إلى شوكتها المتوقفة في الهواء:

- إذا كنت حقاً تهتمين بالحدائق فسأكلم جونو.

ردت بسرعة:

- لا.. المسألة مجرد شيء أفعله.

- ظننتك ترغبين في الهروب من العالم.. لا موسيقى صاخبة، لا

تلفزيون، لا مسؤوليات.

- أعتقد أنني لم أنكر يوماً فراغ مثل هذه الحياة.

- لماذا لا تخرجين وحدك للتفرج على المناظر؟ أنت لا تكادين تخرجين من المنزل ما عدا معي. اذهبي إلى المركز الوطني للأبحاث الجوية، الكومبيوتر هناك مذهل..

- وما هي الأبحاث الجوية؟

- أترين ذلك المبنى الزهري فوق تلك التلة؟ إنهم يدرسون فيه كل الأشياء التي لها علاقة بالجو.. وهم يقومون برحلات استكشاف في مناطق وعرة كذلك.

- تبدو لي الطريق وعرة، ولا زلت غير متأقلمة مع المرتفعات.

- دعي جونو يوصلك بالسيارة.

- أوه.. بالتأكيد.. ألا تتصورني أنزل من السيارة أمام المختبر، أجرجر معطف الفرو ورائي وأنا أدخل المبنى؟

ضحك:

- الطقس لا زال دافئاً لمعطف الفرو.. ثم بإمكانك قيادة سيارتي.

- بالتأكيد لمزح؟ سيارتك الرياضية قوية جداً بحيث أخاف أن أرجعها إلى الخلف من الكاراج، خشية أن تقود نفسها من دوني.

قبل أن يرد على هذا، رن جرس الباب الأمامي فوقف ليفتحه وتبعته كاندرة.. كانت الدقائق القليلة التي تلت مشوشة تماماً بعد أن دخلت امرأة رائعة الجمال إلى الردهة تعانق ريكس وتقبله بحماس مستسلم.. تبع وصولها العاصف رجل مهذب أنيق صافح ريكس وانحنى أدبياً أمام كاندرة الواقفة عند باب غرفة الجلوس. وابتسم الرجلان تسامحاً للمرأة وهي تهذر طويلاً وتضغط على ذراع ريكس باستمرار وكأنما لتوصل إليه كلامها. أحست كاندرة أن قلبها قد تهشم لرؤيتها اللمعان الدافىء للحب في عيني ريكس والوله المخلص على وجهه.. هل هذه هي المرأة ذات الرداء الذهبي؟ علقت أنفاسها في حلقها وهي ترى نظرة الحب على وجه الرجل الآخر.. لا

عجب أن ينخلى ريكس عن المرأة لهذا الرجل. ما هو إحساس أن تتلقى المرأة مثل هذا الحب دون تحفظ؟

- وهكذا قلت لدايف لحظة حطت بنا الطائرة إننا يجب أن نأتي رأساً إلى هنا.. ولم أتصل لأنني لم أرغب في أن تتخلص منا.. أكاد أموت فضولاً.. أين هي؟

هز ريكس رأسه ضاحكاً:

- كونها امرأة متعقلة، فعلى الأرجح قد تكون هربت لتختبىء لحظة وصلتما لتوفر على نفسها الاستماع إلى كل هذا الهراء.

وهبط قلب كاندرة.. كاندرة المتعقلة.

قالت المرأة ساخطة:

- ريكي! لا تبدأ بانتقادي!

شهقت بطريقة درامية:

- لقد أسرعت بدايف إلى هنا ولم نتناول العشاء بعد. كانت رحلة الطائرة رهيبة، والآن لا تريد مني لقاء عروسك.

مسحت دمعة خيالية بإيماءة مسرحية. قال الرجل باستياء:

- لقد فعلت هذا مجدداً. ستقضي الآن الليل وهي تخبرني كيف كنت تشد جدائلها وتضع الشعابين في فراشها.

اعترض ريكس وهو ينظر إلى المرأة مؤنباً:

- إنه ثعبان واحد.. هل عدت للمبالغة إيزي؟

- لن أبالغ لو قلت إنك كنت أكبر متوحش.. ولا شك أن زوجتك تركتك الآن.. ولن ألومها أبداً.

نظر دايف من فوق رأس المرأة إلى كاندرة، وقال:

- آمل أن تكوني على معرفة بما أقدمت عليه حين تزوجت فرداً من هذه العائلة.

استدار الجمال الأسود الشعر لينظر إلى كاندرة في غرفة الجلوس. فسارعت إليها ثم توقفت فجأة:

- حمراء الشعر! لم تقل لي إن لها شعراً أحمر! هذا يشبه تماماً..

مهما كانت ستقول لم تسمعه كاندرة، فقد لف ريكس ذراعه حول خصر المرأة يضغط عليها محذراً.. فتوقفت عن الكلام في منتصف الجملة.

- كاندرة.. في حال لم تحمني بعد.. يخجلني جداً أن أقول لك إن هذه المهذارة الوقحة هي شقيقتي إيزابيلا.. وهذا زوجها دايفد توين.. إيزي، دايف، أود أن أقدم لكما زوجتي كاندرة.

مدت إيزابيلا لسانها لأخيها، قبل أن تلتفت إلى كاندرة وتبتسم لها بفتنة:

- أنا سعيدة جداً بلقائك.. ويحزنني جداً اضطراري إلى عدم حضور عرسك..

التفت إلى ريكس:

- لا زلت لا أفهم لماذا لم تنتظر ريثما تعود من أوروبا؟

- هيا الآن إيزي.. لم يمض عليك وقت طويل وأنت متزوجة، ولا يمكن أن تكوني نسيت كم كنت متلهفة للزواج من دايف؟

- هذا أمر مختلف.. فأنا لم أدع دايف يقترب مني قبل ليلة الزفاف.

أحست كاندرة باللون الدافىء يتصاعد ليلطخ خديها، بينما تصلب ريكس لكلام أخته الخالي من أي لباقة.. وأخذت إيزابيلا تنقل نظرها من واحد إلى الآخر.. ثم أمسكت يد كاندرة:

- أوه.. عزيزتي.. من المؤكد أن ريكس قال لك إن من أسوأ عاداتي أن فمي يبدأ بالتحرك قبل دماغي.. وأنا سعيدة جداً للقائك كاندرة. وأتمنى أن نتمكن من أن نكون صديقتين.. أرجو أن تغفري لي ملاحظتي الحمقاء.

مكث الضيفان عدة ساعات وتناولا العشاء مما كان متوفراً في البراد.. وأثناء ذلك، لم تكن كاندرة قد سامحت إيزي فقط بل أقرت بأن شقيقة ريكس هي أكثر النساء ودّاً وفتنةً.. وقالت هذا لريكس وهي تنظف المطبخ.. فأجاب:

- كنت أعرف أنك ستعجبين بها. تذكرني كثيراً بكاتيا.

قالت ببطء:

ـ أتعني أنها فراشة أخرى؟

ـ هذا إضافة إلى كونها فارغة الرأس.. ولي حال كنت تتساءلين عن ملاحظتها السيئة هذا المساء.. فأنا لم أناقش معها أبداً كيف التقينا.. أما لماذا قالت ما قالته فلا أدري، ومن الطريقة التي تتوثر بها أحياناً أكاد أكون مقتنعاً أن رأسها لا يملأه سوى الصخور.

ـ ولكنها لطيفة جداً.

ـ لها قلب من ذهب.. يمكن أن تعطيك القميص الذي ترتديه.. خاصة إذا لم يكن يعجبها.

ـ ريكس! كيف تقول هذا عن أختك؟

ـ كونها أختي لا يجعلني أعمى عن مساوئها.

ـ إذا كنت تلمح بهذا إلى أدجر، فأنا أعرف أن ما فعله خطأ رهيب.. فهل تريدني أن أنصبه عن حياتي بسبب هذا؟

ـ أنت ستسامحينه حتى ولو سرق المتجر كله.

ـ هذا غير صحيح.. لقد غضبت منه، ويعرف هذا.

قال ساخراً:

ـ طبعاً.. غضبت منه إلى درجة أن تركت له سيارتك.

ـ وماذا أفعل بها؟ أنت من أصريت على السفر في الطائرة.

ـ كان يمكن أن تبيعها أو تشحنها إلى هنا.

ـ لم تكن تستحق البيع أو الشحن.. ثم إن لديك سيارتين.

ـ وما من واحدة منهما تريدين قيادتها.. وماذا عن مكالمات كاتيا؟ إنها فتاة كبيرة.. وينبغي أن تتدبر حل مشاكلها لوحدها.

ـ أعرف أن من الصعب عليك أن تفهم.. لكنهما اعتمدا عليّ طويلاً...

قاطعها: «وطويلاً جداً».

ـ لماذا أنت قاس عليهما؟

ـ لماذا أنت لينة معهما؟ أنت تعرفين كما أعرف أنا أنهما ضعيفان وغير ناضجين.

ـ من السهل عليك إيجاد المساوىء.. فقد رباك والداك مع الكثير من المال ولا يزالان حيين، ولا يمكنك أن تفهم ما كانت عليه حياتنا.

ـ حياتهما أم حياتك؟ إنهما مدللان، غير مسؤولين...

ـ لا.. ليسا هكذا.. لطالما عملا، كان لديهما وظيفة دائماً.

ـ وماذا فعلا بالمال الذي اكتسباه؟

ـ كان لديهما مصاريف.. ثياب.

صاح ريكس:

ـ ثياب؟ لقد شاهدت ما كان معلقاً في خزانتك.. كاتيا لديها أربعة أضعاف ما عندك على الأرجح.

ـ أنا لم أكن أهتم بالثياب كثيراً.

ـ لا.. فكل ما كنت مهتمة به هو التأكد من ألا يقلق هذان الجاحدان. هل قلت لهما يوماً إن المال قليل معكم؟ هل فعلت؟

ـ بالطبع.

تذكرت كيف كانت دائماً تخفي الأسوأ عنهما. لقد ذكرتها جدتها في العديد من المرات بأنها هي رأس البيت والمسؤولة عن الولدين. فهل أخذت كاتدرة نصح العجوز بجدية زائدة؟ مرت أوقات كانت فيها على وشك أن تكشف عن المخاوف التي كانت تتآكلها، لكن معرفتها أن الولدين لا يستطيعان فعل شيء لدفع الفواتير الطبية أبقتها دائماً صامتة. حتى بعد أن أنهى أدجر ثانويته، لم تجرؤ أن تطلعه على مقدار دينهم خشية أن يتخلى عن التعليم الجامعي، ولم تكشف لهما يوماً أنهم يقتربون من حدود الكارثة.. فهل ريكس على حق؟ هل كان هذا مضراً لهما؟

سألها:

ـ هل ساعدك يوماً في أعمال المنزل؟ أنا الرجل الذي تزوجته.. ورأيتك كيف كنت تبرعين في حفلة العرس.

صاحت:

ـ هذا بسبب لبالٍ لم أنمها. وهل كنت تظن أنني كنت أحلم أحلاماً سعيدة عن زواجي المرتقب؟

رد بحدة:

ـ أنت تغيرين الموضوع.

ـ ربما لأنني تعبت منه.

ـ لا شك.. فأنا بحالك لن أرغب في الكلام عن أخ وأخت مثل أخويك معرضين للانهيار من دون وجودك. إنهما يعتمدان عليك كالطفليات دون أن يهتما بك أبداً، ما عدا ما يمكن أن تفعليه لهما. لقد تركك أخوك تتلقين العقاب عنه، وتجاهلت أختك تعاستك بسبب عرسك لمجرد أنها تريد ارتداء ثوب زهري كبير وقبعة تناسبه.

هزت رأسها مصدومة بلذاعة اتهامه. لكنها لم تكن قادرة على دحضه دون أن تعترف بأن ريكس كان يريد يومها رؤية كاتيا في مكتبه.. ورفض أدجر الاختباء وراءها.. وكان سيرفض تضحية كاندرة أيضاً لو عرف بها.. قالت:

ـ لم يكونا يعرفان..

ـ افتحي عينيك حمراء.. ليس في جسد كاتيا عظمة واحدة ليست أنانية، وإلا لما بقيت تزعجك خلال شهر عسلك.. أما أدجر فهو العكس تماماً، إنه على الأرجح لم يفكر بك منذ رحلت. أنت لست أكثر من عاملة كادحة في البيت بالنسبة لكليهما.

قالت متصلبة:

ـ أنت لا تعرف عما تتحدث.

ـ أعرف تماماً أنك أرسلت لهما مالاً.

ردت بسرعة:

ـ إنه مالي.. ولدي مرتب واحد آخر قادم. أنا لم أستخدم مالك.

ـ هذه ليست المسألة.

صاحت:

ـ أعرف ما هي المسألة.. أنت تحاول القول لي إنني أنشلتهما وجعلتهما ضعيفين: أنت تقول إن أخي وأختي لا يحبانني.. هل خطر ببالك أن أدجر محرج جداً من الاتصال بي؟ وأن كاتيا تتصل لأنها تفتقدني؟

ـ لا.

ـ أفضل الموت على أن أكون قاسية مثلك.. لا عجب أنك لا تريد زوجة تحبك فأنت لا تعرف حتى مبادىء الحب.

ـ وأنت.. تعرفينها؟

وخرج من المطبخ.

* * *

٧ ـ سأخبرك سراً!

كان ريكس قد خرج من المنزل حين فتحت كاندرة عينيها في الصباح التالي. تقلبت ومدت يدها دون وعي تلمس الفراش حيث كان نائماً. كانت رائحته باقية على الوسادة فتنشقتها بعمق تسعى إلى الراحة لعطرها المألوف.. تملكها إحساس بالتعاسة وتدفقت ذكرى الليل الفائت إليها.

كان الغضب قد دفعها إلى الإسراع إلى غرفة النوم، لكن ما إن وصلتها حتى تلاشى غضبها وحلت التعاسة مكانه، وبدت الغرفة الواسعة وكأنها تسخر منها ومن ارتباكها.. هل يتشاجر كل المتزوجين حول أمور تافهة هكذا؟ لماذا كان ريكس سريعاً في مهاجمتها؟ هناك شيء أكثر من انزعاجه من مكالمات كاتيا وأكثر من إرسالها نقوداً لهما، هل ندم على زواجه منها؟ هل اكتشف أن التعقل لا يعوّض عن الشعر الأحمر؟ والنمش والملل؟

أغمضت عينيها ألماً ترى نفسها كما لا بد أن يكون ريكس رآها وهو يصعد أخيراً إلى الغرفة ويدخل غرفة الملابس ليلة أمس. كانت تجلس إلى طاولة الزينة تمشط شعرها ببطء فوق كتف واحد.. مع كل ضربة فرشاة، كان العطر الذي رشته على جسمها يرسل موجات فاتنة من الرائحة. وتابعت التمشيط متجاهلة ريكس وقلبها يخفق لجرأتها.. ولم يقل ريكس شيئاً إلى أن لم تعد قادرة على تحمل الصمت، فوضعت فرشاتها من يدها وأرجعت شعرها إلى ظهرها.. والتفتت لترى أنه قد دخل السرير وظهره إليها والمصباح إلى جانبه مطفأ..

تقلبت كاندرة لتجلس، ثم احتضنت وسادته.. كانت الكلمات التي

قالها في المطبخ عن علاقتها بأخويها تتردد في رأسها.. ربما تكون قد أفسدت أدجر وكاتيا وبالغت في حمايتهما، لكنهما بالطبع يحباها وتعرف هذا.

خرجت من السرير وارتدت روبها. كانت ماورين قد وصلت، لكن كاندرة رفضت عرضها لتحضير البيض واللحم.. وحملت قهوتها والتوست إلى الشرفة. كان اليوم يعد بأن يكون شديد الحرارة، استندت إلى السياج تقضم التوست وتراقب العصافير. حتى من هذه المسافة رأت نحلة تئز حول زهرة قرمزية، بينما فراشة عاجية اللون تطير بخفة فوق الزهور والعشب الجاف على ضفتي الجدول. الفراشة جميلة ورشيقة مثل إيزي.. لكن لا شيء جميل في نحلة.

ظهر وجه ماورين السمين من الباب:

ـ سيدة واردن.. هناك رجل في الخارج يريد رؤيتك.

من يمكن أن يسأل عنها؟ اتجهت بعجب إلى الباب الأمامي. كان يقف هناك شاب بثوب عمل وعندما رآها مد يده يدلي بمجموعة مفاتيح أمامها:

ـ قال السيد واردن إن عليك إعادتي إلى موقف السيارات، وسأقول لك كل ما تحتاجين إلى معرفته حول هذه الجميلة.

وأشار بإصبعه إلى سيارة رمادية لماعة فسألت بدهشة: «ما هذه؟».

ـ يا إلهي سيدتي! ألا تعرفين المرسيدس حين تريينها؟

ـ بلى.. لا.. أعني.. لماذا؟

هز كتفيه:

ـ تسألينني؟ لقد طلب مني السيد أن أوصلها إلى السيدة واردن، وأظنك أنت.. ربما بمناسبة يوم مولدك أو شيء ما.

ـ أتعني أنها لي؟

سارعت إلى ارتداء بنطلون جينز ثم أوصلت الفتى وهي تصغي إلى تعليماته وأثبتت أنها سائقة كفوءة.. بتحية سريعة قفز من السيارة، وبدأت تخرج من الموقف.. لكن صفيراً مرتفعاً أوقفها فاستدارت لتراه يشير إليها بأن لديه شيئاً لها.. أخذت تنظر حولها وهي تنتظره، ولاحظت وجود

سيارة خضراء رياضية سقفها قابل للطي.

عاد الشاب إليها راكضاً، ولرؤيته اتجاه نظرها قال:

- لقد ذكر السيد واردن بهذه.. لكنه غير رأيه قائلاً إنها ليست السيارة المناسبة لك.

دس لها عبر النافذة المفتوحة خريطة.

- كدت أنسى هذه.. طلب السيد أن أدلك إلى حيث يقع المنزل.

دل بإصبعه على الخريطة:

- نحن الآن هنا. وهذه المكتبة العامة، قال إنك سترغبين في معرفة مكانها.

شكرته كاندرة وخرجت بالسيارة إلى الشارع. فتحت النوافذ فتدفق الهواء الساخن إليها، لكن على الأقل خفت رائحة السيارة الجديدة. توقفت بعد بضع منعطفات على مفترق طرق لتقرر أين هي.

أطفأت المحرك وتسارع إلى ذهنها مليون سؤال.. وفتحت الخريطة ببطء. لماذا اشترى لها ريكس السيارة؟ هل ملّ من مرافقتها في البلدة؟ ما الذي كانت تتوقعه؟ لقد قال لها منذ البداية إنه يريد زوجة قادرة على تسلية نفسها..

أوقفت كاندرة السيارة الجديدة أمام المنزل ونظرت إلى الكاراج، الليموزين وسيارة ريكس الرياضية كانتا هناك.. أكملت البحث عن جونو وقالت إنها ستذهب بنفسها لتأتي بريكس بعد العمل ذلك المساء.

كان سهلاً رؤية لوحة محلات واردن.. وتوقفت كاندرة على بعد محل واحد منها.. ثم نزلت لتقف أمام الواجهة الزجاجية بحيث عكس الزجاج صورتها. كان شعرها منفلتاً تحت قبعة من القش، وترتدي فستاناً خفيفاً أزرق اللون مع سترة مماثلة.. بدت باردة فاترة.. لكن المظاهر تكذب أحياناً، فداخلها كان كتلة معقدة من الارتباك والتردد.. لماذا هي قلقة؟ لا يمكن لريكس أن يكون لا زال غاضباً منها.. لقد اشترى لها سيارة، ألم يفعل؟

سارت مطمئنة إلى أن وصلت باب المتجر ودخلته فصدمها الهواء المكيف للحظة كما صدمتها فكرة غير سارة: ماذا لو كان قد طلب السيارة منذ أيام قبل شجارهما؟

- سيدة واردن؟

استدارت كاندرة لترى امرأة متوسطة العمر تبتسم لها بلهفة:

- أنت السيدة واردن ألست هكذا؟

- أجل، أنا.

- آمل ألا تظني أنني جريئة لمخاطبتك هكذا. لكنك بدوت كالضائعة قليلاً حين دخلت من الباب.. وظننت أنك ربما تبحثين عن السيد واردن.

- هذا صحيح.. لكن..

ضحكت المرأة:

- كيف عرفت من أنت؟

هزت كاندرة رأسها.

- الأمر سهل.. عرفتك من صورة الزفاف التي نشرت في الصحف ووضعها السيد واردن على لوحة استعلامات الموظفين.. هذه عادته.. يفكر بكل شيء.. إنه يعرف كم كنا مهتمين بزواجه.. وكنا نتساءل متى ستأتين إلى هنا. وأنا أكسب الجائزة لأنني رأيتك أولاً.. لكن أنت لم تأتي للهذر معي.. هيا.. سأريك مكتب السيد واردن.

استدعت موظفة أخرى لتجلس إلى طاولة آلة تسجيل النقود، وقادت كاندرة عبر المخزن ثم قالت لها: «مكتب السيد واردن في الطابق الثالث، ثاني باب إلى اليسار.. وهذا هو الزر.. هذا المصعد قديم الطراز لكنه آمن تماماً».

نظرت كاندرة إلى الاسم المثبت على فستان المرأة:

- شكراً لك.. سيدة والكر.

ابتسمت المرأة بدفء:

- بكل سرور.. هل بإمكاني أن أعبّر عن أفضل تمنيات جميع الموظفين

بالسعادة لزواجك من السيد واردن؟ إنه شخصية رائعة وأتمنى أن تكونا سعيدين حقاً.

ـ هذا لطف منك.

كان انتشار الشائعات في المتجر سريعاً جداً.. فقد تبين لكاندرة أن المرأة التي كانت تقف أمام باب المصعد في الطابق الثالث كانت سكرتيرة ريكس.

حين وصلت كاندرة إلى مكتب ريكس، كان القلق قد زال عنها أمام صدق تمنيات الموظفين، ودخلت ممتنة إلى الغرفة. لكنها وقفت مسمرة عند الباب.. كان ريكس يقف في الجهة الأخرى من الغرفة منحنياً فوق طاولة مليئة بالأوراق وإلى جانبه امرأة كستنائية الشعر. استدارا معاً في وقت واحد لدخولها المفاجيء والضحكة من نكتة مشتركة لا تزال مرسومة على وجهيهما.

نظر ريكس إليها بدهشة: «كاندرة؟».

قالت مقطوعة الأنفاس وعيناها على المرأة الأخرى:

ـ قلت لجوتو إنني سأوصلك بنفسي إلى المنزل.

قطع ريكس الغرفة إلى حيث تقف قرب المدخل وقادها إلى الداخل.

ـ دخلت إلى هنا وكأنك هاربة من البوليس.

ـ بل أسوأ.. كنت أهرب من محنة.

ـ أفهم من هذا أنهم عرفوك؟

ابتسمت له:

ـ لسوء الحظ.. أجل.. لم يحدّق في هذا العدد من العيون منذ المدرسة حين تمكن تلميذ من لصق ورقة على ظهري دون أن أعرف بها.

لمعت عيناه:

ـ وماذا كانت تقول؟

ـ عانقني..

ـ وهل عانقك أحد؟

ـ عانقني تلميذ آخر صغير أمام جميع التلاميذ قبل أن يزيلها ويعطيني

إياها.

ـ أراهن أن الصف كله صفق لكما.

ـ وصفر، وضرب بأقدامه.. وظننت أنني سأموت خجلاً.

وضع ريكس يده على كتفها وأدارها دورة كاملة: هذا ما ظننته.

ـ ماذا؟

ـ هناك ورقة معلقة.

قالت بدهشة:

ـ لا أصدق أن هناك ورقة.

سأل بنعومة:

ـ أتدعيني كاذباً؟

ـ أجل.

ـ لا يسمح هنا لأي كان بأن يدعو «السيد» كاذباً.

اقترب منه تهمس في أذنه:

ـ وماذا ستفعل؟

ـ هل لي أن أفترض أن عمل اليوم انتهى؟

جاء السؤال من خلف كاندرة، فاستدارت.. كانت قد نسيت المرأة الأخرى الواقفة تراقبهما وحاجب أنيق مرتفع تعجباً. فاحمر وجه كاندرة حرجاً.

لكن ريكس كان من طينة أكثر صلابة، فقال بسهولة:

ـ آسف ميلاني! تعرفين كيف هي الأمور مع عروسين جديدين.

جذب كاندرة إلى جانبه.

ـ حبيبتي هذه ميلاني كريك. إنها مهندسة الديكور في محلاتنا.. وهي مسؤولة كذلك عن تنفيذ ديكور منزلنا.

ـ أليس هذا رائعاً؟ جميل أن أقابلك.

ـ لم أكن أعرف حين نفذت الديكور فيه أنه سيكون عش زواجك.. أرجو أن يكون قد أعجبك.. أظن أنه رائع.

- إنه لطيف.

قال ريكس:

- سنتهي المشروع غداً ميلاني.

أخذت المرأة أوراقاً عن الطاولة:

- عظيم.. سعيدة بلقائك سيدة واردن.

وكان على وجهها نظرة من تعرف شيئاً لا تعرفه كاندرة.

- وأنا سعيدة بمقابلتك.

فجأة أحست كاندرة بالحرّ.. فخلعت قبعتها واتسعت عينا ميلاني لرؤية شعرها الأحمر، ولمع شيء من المرح المتسلي في عينيها، لكن سرعان ما تبدد لرؤيتها كاندرة تنظر إليها، ولمتمت دون توجيه الكلام إلى أحد وهي تخرج من الباب «مذهل» وتابعت سيرها وخصرها الرائع الشكل يتمايل بإغراء.

التفتت كاندرة إلى ريكس بحيرة: ماذا تعني بهذا؟

هز كتفيه:

- الملاحظات الغامضة هي من ضمن عملها. إنها ترهب زبائنها بها وتجعلهم يعتقدون أنها أذكى منهم.. وبهذه الوسيلة لا يسأل أحد عن أحكامها في الديكور.. ولن يفعل أحد لأنها موهوبة جداً.

فكرت كاندرة بالجو البارد غير المرحب في المنزل، لكنها لم تقل شيئاً..

وأضاف:

- دعيني فقط أرتب بعض الأوراق ثم نذهب.

تقدمت إلى النافذة... إذن هذه هي المرأة التي كان ريكس يفكر بها حين اختار ثوب النوم المخبأ في الدرج؟ ولم تجد صعوبة في تصور ميلاني ذات النظرة الساخرة في عينيها وهي ترتدي الفستان وتضع عطراً مثيراً فاخراً.

- هل أقلك جونو بالليموزين الحمراء؟ أم إنك تشجعت وجئت بسيارتي الرياضية؟

استدارت.. كان ريكس يقف وراءها، يداه على وركيه.. للحظات فشلت في فهم معنى كلامه أو نظرته.. ثم فهمتها أخيراً.. نظرت إلى القبعة

التي تحملها وقالت بخفة:

- في الواقع، قدت بنفسي.

- أي سيارة؟

رأت مرآة في الغرفة، فتقدمت إليها:

- سيارة رمادية عتيقة رأيتها متوقفة في الطريق الداخلية للمنزل.

ودست شعرها داخل القبعة.

- رمادية قديمة؟ أريد أن أعلمك أنها إرث عائلي.

نظرت إليه من تحت القبعة:

- وأنا من ظننت أنك اشتريتها في مزاد علني للسيارات المستعملة.

انتزع قبعتها ورماها لتطير عبر الغرفة. وقال برضى:

- هاك.. هكذا أفضل.

- ريكس! أتعلم كم كلفتني هذه القبعة؟

- لا.. ولست أهتم.

واحداً واحداً تساقطت المشابك التي تثبت شعر كاندرة في مكانه إلى الأرض، وقال هامساً:

- الآن.. اشكريني كما يجب على السيارة، ثم سأقول لك سراً.

ردت باحتشام:

- أنا لا أحب الرشوة.

سارت بسرعة عبر الغرفة لتستعيد قبعتها قبل أن تركع فوق السجادة لتلملم مشابك شعرها المبعثرة. لكن ريكس شدها لتقف:

- اتركيها.. هل سامحتني؟

- على ماذا؟

- لمخاشنتك ليلة أمس بخصوص أخيك وأختك.. ليس من شأني أن أنتقد طريقة معاملتك لهما.. لقد قمت بأفضل ما بوسعك في ظروف سيئة. السيارة هي وسيلتي للتعويض.

نظرت إليه بذهول، أخيراً وجدت صوتها:

- أتعتذر بسيارة؟ الشجار معي قد يصبح مكلفاً لك.

- لكنني لا أتوقع أن أكون دائماً من يعتذر.. على أي حال قلت لي كلمات غير لطيفة.. أيضاً.

نظرت إليه برعب:

- أجل.. فعلت وأنا آسفة. أرجو ألا تتوقع مني شراء سيارة لك.

حرك حاجبيه ونظر إليها بخبث:

- أوصليني إلى البيت وسأقول لك ما أتوقعه منك.

تمتمت تدعي الغضب:

- أوه.. حسن جداً. دعني ألتقط الدبابيس.

- لن تحتاجي إليها.

- ريكس! لا أستطيع المرور في المتجر وشعري ينطاير هكذا. سينظر إليّ الجميع بعجب.

- أنت على صواب.. وسيذهب كل الزبائن مسائين لأن موظفي المبيعات سينشغلون جداً بمراقبتك بدل خدمتهم.

فرقع بأصابعه:

- عرفت ماذا سأفعل.

التقط سماعة الهاتف وطلب قسم الأحذية، ثم طلب من شخص أن يرسل له رباط حذاء.

بالرغم من احتجاجاته، تمكنت كاندرة من التقاط كل المشابك.

- لن أستطيع تركها هنا.. فسيتكلم المتجر كله عنها غداً.

لكن المتجر كله كان قد تكلم وانتهى.. حين رافقها ريكس أخيراً من مكتبه كان شعرها مربوطاً إلى مؤخرة عنقها بشريط حذاء أبيض، وبدا كأن كل موظف في الطابق الثالث يعرف بوجودها ووجد حجة للتواجد في الرواق في تلك اللحظة بالذات.. وتوقعت كاندرة أن يمرّ بها ريكس بسرعة أمام الجميع.. لكنه بدلاً من هذا، قدمها إليهم بكل وقار وقدم لكل واحد منهم قليلاً من تاريخها الشخصي.. ولم يكن في طريقة تصرفه أي دليل على نفاد

الصبر.. وبدا أن السيدة والكر لم تكن الموظفة الوحيدة التي تعتقد أن السيد واردن رجل رائع.. أخيراً وصلا إلى المصعد. فمسح ريكس عرقاً خيالياً عن جبينه وقال:

- واو.. لم تبالغي حين قلت إنك مررت بمحنة.

انفتح باب المصعد فقادها إلى الداخل وقال متمتماً بصوت مثير:

- لوحدنا أخيراً سيدة واردن.

قالت بسرعة وهو يحني رأسه نحوها: «ريكس!».

وأشارت برأسها إلى فتاتين صغيرتين تقفان في الداخل على جانبي الباب.. قال ريكس لهما:

- مرحباً.. أتركبان المصعد؟

نظرتا إليه دون أن ترف لهما جفن.. وتمتمت كاندرة لهما بصوت منخفض:

- لا تتكلما مع الغرباء.

هز رأسه متفهماً: «هذا صحيح».

وكأنما أعطى إشارة ما لانطفاء الأنوار وتوقف المصعد فجأة.

سألت كاندرة بارتجاف:

- ماذا حدث؟

- لا أدري.. دعيني أرى إذا كنت قادراً على إيجاد زر الطوارئ.

سمعت كاندرة صوتاً منخفضاً، كانت إحدى الفتيات تبكي، فقالت بلهجة مرحة:

- يا لها من مغامرة!

تصاعد صوت رفيع مثير للإشفاق: «أريد أمي».

تكلم صوت أكبر سناً بشجاعة:

- أمسكي يدي لوسي.

كررت الصغيرة: «أريد ماما».

سمعت كاندرة ريكس يتحدث بصوت منخفض في سماعة الطوارئ.

الداخلية للمصعد.. فقالت:

- أنا أسمي كاندرة.. وأنتما لوسي و..؟

كررت لوسي بصوت باك:

- أريد أمي.

عاد ريكس ليقول في أذن كاندرة:

- انطفأت الكهرباء.. ليس في المتجر فحسب، وسيأتون إلينا بعد قليل.. هل لنا أن نعرف من معنا هنا؟ فإذا طال الأمر لا أريد أن يكون هناك أم هستيرية في الطابق الأسفل.

قالت:

- أنا أعمل جاهدة لأعرف.

أخذت نفساً عميقاً وقالت بصوت مرتفع:

- جيد أن براوني ليس عالقاً هنا معنا.

فهم ريكس ما تعنيه: «ولماذا؟».

- ذلك الكلب الضخم السخيف يخاف كثيراً من العتمة. أتعرف كيف تخبىء الكلاب العظام؟ براوني يخبىء المصابيح اليدوية احتياطاً لانقطاع الكهرباء.

قال ريكس: «لا!».

- بلى.. إنه يفعل هذا لكن حين ضبطته يدفن «اللمبات» لم أعرف بماذا أفكر.

سألها:

- ولماذا كان يخبىء «اللمبات»؟

- لأنه قرأ كتاباً عن الحدائق يقول إنك إذا أردت لزنبقة أن تزهر يجب أن تزرع «لمباتها».

تصاعدت ضحكة صغيرة من طرف المصعد.. فتشجعت كاندرة وتابعت:

- أوتعلم ماذا قال لي في الصيف الفائت؟

تابع ريكس لعب دوره:

- لا.. ماذا قال؟

- قال إنه مصاب بحكاك، أيمكن رجاء أن أعطي البراغيث حماماً؟

تصاعدت ضحكة أخرى، ثم همسة:

- أفهمت النكتة لوسي؟ الكلاب فيها براغيث دائماً.

ابتسمت كاندرة في الظلام.

- هل قلت لك إنني استلمت رسالة منه اليوم؟ أخبرني فيها عن كل مغامراته الأخيرة. كان يلاحق قطة الجيران دون أن ينظر إلى أين هو ذاهب.. حين قفز إلى سلة.. واحزر ماذا؟ لقد كانت سلة منطاد.

أكملت كاندرة تزيين القصة بطرائف مضحكة وهي تتابع، تبتدع أفكاراً مستحيلة إلى أن أعادت براوني أخيراً إلى الأرض.

- ألم تكن هذه مغامرة رائعة ريكس؟

- بكل تأكيد.

وجهت صوتها نحو الزاوية:

- والآن أصبح عندي مغامرة أكتب له عنها. يعيش براوني في أريزونا وهي بعيدة جداً، لكنه يحب تلقي الرسائل، لذا سأكتب له وأقول إنني علقت في المصعد.. وسأبلغه سلامك ريكس.. هل يريد أحد آخر قول «مرحباً» له؟

جاء صوت خائف صغير فيه شيء من البكاء: «أنا أريد».

- وماذا سأقول له اسمك؟

- لوسي راولد.

لقد كسبت نصف المعركة:

- هل هناك شخص آخر يريد إيصال رسالة إلى براوني؟

- أعتقد أنك تستطيعين قول مرحباً من جولي رولر كذلك.. لكنني لا أصدق أنه يستطيع القراءة.

وكان هذا ما قاله الصوت الثاني متحدياً.

استندت كاندرة على جدار المصعد ارتياحاً، وسمعت ريكس مجدداً يطلب من شخص ما على الهاتف أن يبلغ السيد والسيدة رولر. . ثم سمعت كاندرة صوتاً خافتاً إلى جانبها:

ـ كاندرة. . أخبريني مزيداً من القصص عن براوني؟

ـ طبعاً، دعونا نجلس هنا على الأرض.

وسرعان ما انطلق براوني في مغامرة جديدة مستحيلة، بينما داخل المصعد فتاة صغيرة منكورة في حجر كاندرة والأخرى جالسة مستندة إلى جانبها. . كانت حنجرتها قد بدأت تجف والقصص تنسخ من رأسها حين أضاءت الأنوار وعاود المصعد هبوطه البطيء.

في النصف ساعة التي تلت، اعتذرت السيدة رولر بشكل مبالغ فيه وانصرفت، فاسترخت كاندرة على كرسي تسمع الحديث بنظاير فوق رأسها.

قالت السيدة والكر لريكس بحدة:

ـ كان يجب أن تزجرها لتركها ابنتها تلعبان بالمصعد بدل أن تعطيها بطاقة لهدية وترسلها إلى بيتها في سيارة المحل.

قال ريكس:

ـ أنا واثق أنها تعلمت درسها. . بهذه الطريقة ستبقى السيدة رولر زبونة وربما ستحضر معها الأصدقاء والأقارب.

واستدار ليرد على سؤال شخص آخر. وشدت لوحة كبيرة انتباه كاندرة، فتقدمت لتلقي نظرة مقربة عليها.

كانت صورة لسيدة من القرن الثامن عشر ترتدي ثوباً فضفاضاً أخضر اللون وتقف أمام جواد أسود جميل، على رأسها قبعة خضراء لها غطاء وجه واسع فوق شعر أحمر ملتهب.

ـ صاحبة السعادة، تعطي المكان لمسة لخامة ووقار. . أليس كذلك؟

ـ صاحبة السعادة؟

التفتت لترى امرأة في مثل سنها تبتسم لها، وترد:

ـ هكذا أسميها. انظري إلى طريقة وقوفها وأنفها في الهواء تسخر منا جميعاً ومن كل من يضطر إلى العمل كي يعيش.

ـ إنها تبدو فعلاً أرستقراطية متصلبة. . من هي؟

هزت المرأة كتفيها.

ـ لا أدري، فالسيد واردن يقول إنها والفنان الذي رسمها مجهولان. . ما أظنه أن ما من امرأة لها شعر بلون هذا الشعر يمكن أن تكون متزمتة المظهر مثلها. . أراهن أنها كانت صديقة الرسام. . أوه.

وضعت المرأة يدها على فمها، وارتفعت عيناها إلى شعر كاندرة:

ـ لم أقصد أية ملاحظات شخصية، سيدة واردن. إنها مجرد لعبة ألعبها. . أعني.

بدا رعب المرأة حقيقياً، وعلى الفور أتى صوت ريكس:

ـ جاهزة لتذهب كاندرة؟

أجفلت كاندرة لسماع صوت ريكس. منذ متى يقف هنا ليستمع؟

في الخارج اقترح عليها أن يشربا القهوة في مكان ما قبل الذهاب إلى المنزل، وسرعان ما كانا يجلسان في مقهى قريب. وبينما كان ريكس يطلب القهوة، أخذت كاندرة تنظر حولها. . كانت الكراسي والمقاعد منجدة بسجف مطرز بالزهور، طاولات رخامية صغيرة، خشب أسود، رسوم من القرن المتصرم على الجدران.

سألها: «أعجبك؟».

ـ بل أحبته.

ـ إنه قديم الطراز مثل ثوب عرسك.

عادت النادلة بالقهوة، ودفع ريكس الفاتورة ثم قال لها:

ـ يجب أن نحتفل بظهورك المسرحي المذهل، حمراء. . . اليوم في المتجر، غداً في السلسلة كلها، الأسبوع القادم في العالم كله. . وتصبحين بطلة محلات واردن الخاصة.

ـ بطلة! عم تتحدث؟

ـ عن الطريقة التي تصرفت بها في المصعد. أرتجف لو فكرت بما كان سيحدث لو كنت وحدي مع هاتين الفتاتين المذعورتين.. أو ما إذا كنت ستصابين بالهستيريا وتزيدين من سوء الموقف.

ـ لم أكن شجاعة إلى هذه الدرجة.. الواقع أنني كنت مذعورة.

ـ وإن يكن؟ لقد عرفت ماذا تفعلين مع الطفلتين.. أعطني امرأة متعقلة تركب المصعد و..

قاطعته دون تفكير:

ـ وهل ميلاني متعقلة؟

ضحك:

ـ التعقل بالنسبة لميلاني هو مواعدة رجال أغنياء لئلا تقع صدفة بحب رجل فقير. لكن.. لماذا السؤال؟

ابتسمت:

ـ لا أدري.. بدت لي كفوءة.

وغيرت الموضوع تسأله عن السياسة.. كانت اهتمامات ريكس واسعة جداً، وأحبت كاندرة العادية النقاش.. لكن كل ما كانت تفكر به هذا المساء هو كم من السهل إشعال مشاعر ريكس نحوها وإطفائها بسرعة.. لقد تصرف في مكتبه كرجل لا يستطيع الانتظار ليصل بها إلى البيت.. أما الآن فهو يبدو وكأن الحديث مع زوجته هو الأبعد عن تفكيره. قد يذهي حبها في المصاعد، لكن من الواضح أنه يفضل طراز ميلاني.

***

٨ ـ . . . وكالنحل تعطي العسل

حين وصلا إلى المنزل بعد ساعتين كان جرس الهاتف يرن، وبإشارة من ريكس ردت كاندرة عليه وعرفت أنه ظن أن كاتيا المتكلمة.

جاء صوت إيزابيلا مقطوع الأنفاس عبر الهاتف:

ـ سمعت عن التجربة الرهيبة التي مررتما بها في المصعد.. وأردت أن أتأكد بنفسي أنك وريكس بخير.

قبل أن تؤكد لها كاندرة أنهما بخير، تابعت شقيقة ريكس:

ـ قال في جوابي إنك التقيت ميلاني كريك. أليست رهيبة؟

نظرت كاندرة دون إرادة إلى ريكس الواقف في الردهة:

ـ أوه.. أجل..

همست إيزابيلا بلهجة تآمرية:

ـ فهمت.. ريكس إلى جانبك.. أليس كذلك؟

ـ أجل.

ـ أنت لا تعرفين كم ارتحت لزواجه منك. كنت مرتاعة وخائفة من أن يقع أخي في شباك امرأة لعوب.. لقد ترك ريكس ميلاني تنقد له ديكور المنزل، وتطوعت أن أقوم أنا بالأمر لكنه أصر عليها.. إنما هذا ليس سبب اتصالي.. سأقيم حفلة في الأسبوع القادم وأنتما يجب أن تحضراها.. أعرف أن ريكس يقول إنك لا تمارسين نشاطات اجتماعية بعد، لكن العائلة أمر مختلف.

قالت:

مرت دقائق طويلة قبل أن يبعدها ريكس عنه.. ليقول:

- أعتقد أن الطعام يحترق.

وكانت كاندرة مرتبكة إلى درجة أنها لم تعرف كيف تطفىء الفرن.

مع مرور الأيام، توصلت كاندرة إلى قرار. ريكس لم يفكر يوماً أن له ماضي، لذا لا داعي لأن تفكر هي بهذا كثيراً. فلو أنه أراد الزواج من ميلاني لفعل.. وسبب افتراقهما ليس من شأن كاندرة الآن.. فآخر ما قد يرغب به ريكس هو وجود امرأة غيورة تعيش في منزله.. لقد اختارا الشيء في هذا الزواج لأسباب منطقية أساسها الحاجة والمنفعة المشتركة.. وكان ريكس زوجاً لطيفاً وكريماً، هذا عدا ذكر أنه رفيق ساحر.. وكان هناك احترام متزايد، وإعجاب مشترك بينهما.. وهل يستطيع كل المتزوجين ادعاء هذا؟ وماذا يمكن أن تطلب زوجة من زوجها أكثر؟

كان على كاندرة أن تتقبل زواجها كما هو عليه.. ومع أن حياتها كانت تبدو لها أحياناً فارغة عقيمة، إلا أنها كانت تقنع نفسها أن السبب هو اعتيادها على العيش في منزل مليء بكلاب تعوي ومراهقين يصيحون.. وكانت تخفي تصاعد قلقها على ما يجري في أريزونا.. كان لأدجر صديقة جديدة ثرية حسب قول كاتيا، ولم تستطع كاندرة إبعاد تحذير ريكس لها من رأسها من أن أخيها قد يسرق مرة أخرى إذا كانت الظروف مؤاتية.. أما شقيقتها، فقد أحست أنها تتغير. لم تعد تسر إليها بشيء بل أصبحت مراوغة حول نشاطاتها، ولم تتعرف كاندرة على أي اسم من أسماء أصدقائها الحاليين.. وقادت كلمات النصح اللطيفة من جانبها إلى كلمات غاضبة من كاتيا وإلى صفق السماعة في وجهها.

احتضنت كاندرة الهاتف بين يدين مرتجفتين.. خلال ثلاث ساعات من عمل ريكس المتواصل في مكتبه، كانت تحاول الاتصال إما بكاتيا أو بأدجر.. أخيراً وجدت أدجر، واستخلصت منه بالقوة اعترافاً بأنه لا يعرف أين هي كاتيا، وأنه يشك في أن تكون قد بدأت تعاشر مجموعة فاسدة وتذهب إلى حفلات صاخبة.

وجدها ريكس لا تزال تجلس قرب الهاتف تحدق في بؤس أعمى.. وأضاء النور:

- المكان معتم هنا.. ما بك؟

رددت دون وعي:

- ما كان يجب أن أغادر توكسون.

طالب ريكس بتفسير لقولها.. وتدفقت كل مخاوفها... فسألها:

- ولم لم تقولي لي كل هذه الأمور؟

- أعرف أنك تعتقد أنني أقلق كثيراً عليهما، ولم أرغب في إزعاجك.

رد بلهجة متوحشة: «تزعجيني!».

وأخذ يذرع غرفة الجلوس جيئة وذهاباً:

- ربما يجب أن...

- اصمتي.. أنت زوجتي.. من الآن وصاعداً عليك أن تخبريني بكل ما لديك من مشاكل.

- حسناً.. أنا آسفة.

قال ساخراً:

- إذا كنت منزعجة كثيراً ستتحدث بالأمر غداً.

كانت كاندرة لا تزال مستيقظة عند الفجر في اليوم التالي حين تحرك ريكس من الفراش ونظر إليها ليرى عينيها المفتوحتين.. وقال:

- أنا مسافر خارج البلدة.

جلست مذعورة: «لكن..».

- سأعود الليلة أو غداً ونتكلم حينها عن مشكلتك.

- وماذا يفترض بي أن أفعل خلال هذا!

- غيري ورق جدران المنزل.. لكن لا تقلقي بخصوص أدجر وكاتيا.

هذا قول سهل.. فالإنسان لا يتوقف عن القلق لأن شخصاً آخر طلب منه هذا.. مليون مرة التقطت سماعة الهاتف ثم أعادتها مكانها.. ماذا تقول لكاتيا؟ كان إصغاؤها إلى ريكس غلطة.. كان يجب أن تقفز إلى أول

طائرة توصلها إلى توكسون.

وهذا بالضبط ما ستفعله.. عادت إلى الهاتف لتتصل بمكتب السفريات في اللحظة عينها التي وصلت فيها أصوات وضجة من الخارج.. تقدمت باستغراب إلى الباب الأمامي تفتحه، وكاد براوني يوقعها أرضاً.

ـ براوني.. أيها الأحمق.. انزل إلى الأرض.

أسندت ظهرها إلى الباب تتجنب ملمسه.. وقبل أن تتساءل عن سبب وجوده هنا، كانت كاتيا تبتسم لها.

ـ مفاجأة!

ـ كاتيا! كيف وصلت إلى هنا؟ هل أدجر معك.. أيضاً؟

ـ لا.. أنا فقط.. جاء ريكس بالأمس وأقنعني بالمجيء معه.

نظرت كاندرة من فوق كتف كاتيا لترى ريكس وجونو ينزلان الحقائب من السيارة، فسألت بحيرة:

ـ ريكس.. لا أفهم.. لماذا لم تقل لي؟

ـ سأشرح لك فيما بعد.. لماذا لا تأخذين كاتيا إلى إحدى غرف النوم الإضافية؟

كان رأس كاندرة لا يزال يدور ذهولاً وهي توصل كاتيا إلى إحدى الغرف.. وكانت كاتيا تهذر حول وصول ريكس غير المتوقع إلى توكسون.. دعوة ريكس لها لتعيش في «بولور» وإيجاد ريكس لشخص يستأجر جزءاً من المنزل من أدجر.. ودعوة ريكس لهما إلى أفخم مطعم في توكسون.. وقيام ريكس بكل الترتيبات لشحن براوني.. واقتراح ريكس أن تنضم إلى الكلية هنا، وعرضه أن يدفع لها التكاليف.. شراء ريكس لتذكرتين لهما في الدرجة الأولى... سيارة ريكس.. سائق ريكس.. منزل ريكس.. متجر ريكس.. مال ريكس..

لقد دعا ريكس كاتيا لتعيش معهما دون أن يستشيرها.. وبدأ رأس كاندرة يضرب بشدة.

ـ أيجب أن تهذري هكذا كالغراب؟ لا أستطيع سماع صوت أفكاري.

ارتجفت شفتا كاتيا:

ـ ألست سعيدة برؤيتي؟

ـ طبعاً سعيدة.. أنا.. فقط مصابة بصداع. أفرغي حقائبك بينما أذهب وأنام قليلاً.

لم تكن كاندرة تنوي أن تنام، يجب أن تتكلم مع ريكس.. كان يتحدث في الهاتف وبراوني ممدد على بساط وأنفه يستريح إلى رأس حذاء ريكس اللماع. رأى ريكس اتجاه نظرها وهو يعلق السماعة:

ـ مسكين براوني.. لقد أنهكه أول سفر له بالطائرة.. ما بك؟

ـ لا شيء.

قطع الغرفة في خطوتين وأمسك وجهها بين يديه.

ـ هل خدشت سيارتك الجديدة؟

ـ لا.. بالطبع لا. لماذا لم تقل لي إنك ذاهب إلى توكسون؟

أنزل يديه إلى جانبيه:

ـ كنت أعرف أنك ستصرين على المجيء معي، ولم أكن متأكداً مما سأجده.. كنت محقة في قلقك على كاتيا.

جلست كاندرة فجأة ونسيت غضبها من ريكس:

ـ لماذا؟ ما الذي ورطت نفسها به؟

ـ ورطة سوء كما كان يشك أدجر.. في الوقت عينه تكلمت مع أدجر، ولا أظن أن هناك داعي كي تقلقي عليه.. يبدو أن لصديقته الجديدة تأثيراً جيداً عليه.. لكن كاتيا...

أمسكت ذراعي المقعد بشدة حتى ابيضت أصابعها: «أخبرني».

ـ لقد كنت محقة في شأنها.. فهي لا زالت طفلة.. كنت أنوي العودة لأخبرك بكل شيء، لكنني قررت أنني كلما أسرعت في إخراجها من توكسون كلما كان أفضل لها. المجموعة التي انضمت إليها كانت مجموعة فاسدة ولحسن الحظ أنها لم تورط نفسها بأشياء خطيرة بعد، واستطعت انتزاعها ببضع رشوات.

أوقف كاندرة من مقعدها لتواجهه: «هل سامحتني؟».

نظرت إليه بخدرة الأحاسيس، دماغها لا يزال تحت تأثير الصدمة.. كانيا.. ورفقة السوء!

- أسامحك على ماذا؟

- على المخاطرة كل هذه القرارات دون استشارتك.

هزت رأسها عليها تخلصه من خدره:

- شكراً لك.

ولامست خده بأصابعها.

- ألست غاضبة عليّ؟

وأرجع خصلة شعر إلى الوراء.

- ما الذي يجعلك تعتقد أنني غاضبة؟

- أتمزحين؟ حين دخلت إلى هنا كنت غاضبة بحيث أن شعرك كان يتطاير شرراً.

ركزت نظرها على الشق في ذقنه:

- ربما كنت متزعجة قليلاً.. لكنني الآن محرجة.. حين كنت أجلس هنا دون أن أفعل شيئاً سوى التفكير الغاضب، كنت أنت تحل المشكلة كلها.. شكراً لك.

- ألا تظنين أنني أستحق شكراً أدفأ من هذا؟

- أنت طمّاع جداً..

لكن نظراته المليئة بالشوق إليها اسكتتها.

دخلت كانيا إلى الغرفة مقتحمة:

- كاندرة! لقد أخبرني ريكس عن سيارتك. ولقد ذهبت لأراها.. إنها رائعة! أيمكن أن أقودها؟

ابتعد ريكس عن كاندرة وأجابها: «لا».

نظرت كاندرة إليه وحاجبها مرتفع:

- ألا تظن من الواجب استشارتي قبمن يقود سيارتي؟

- ليس في مثل هذه الحالة.. لقد ركبت مع كانيا وهي تقود السيارة، واعترفت نفسي محظوظاً كوني نجوت حياً. سأشتري لها سيارة خاصة بها.

اقتربت كانيا من ريكس:

- أوه.. ريكس.. أتعني هذا؟

أجاب:

- اذهبي وأحضري حقيبة يدك ورخصة القيادة، وسنذهب فوراً.

وابتسم تسامحاً وهي تغادر الغرفة.. رفعت كاندرة عينيها إلى السماء وقالت بجفاء:

- أنا مسرورة لأنك لن تفسدها دلالاً.

ضحك وطبع قبلة سريعة على رأس أنفها:

- لا سبب يدعو لأن تتشاركي سيارتك معها أو أن تكوني رهن إشارتها حين تحتاج إلى من يوصلها.. ولا أعتقد أنها يمكن أن ترضى بأن يوصلها جونو إلى كل مكان.

قد لا ترضى كانيا بأن يوصلها جونو لكنها كانت راضية تماماً بالخروج مع ريكس.. حين دعت كانيا أختها لترافقهما في رحلات الاستكشاف التي سبق وصحبها ريكس إليها، أجاب بسرعة أن لديها مشاغل أخرى وتجاهل عرض كاندرة بأن تأخذ كانيا بنفسها.

اتخذت الحياة بعد هذا طعماً مختلفاً بوجود كانيا معهما، طعم لم تكن كاندرة تستسيغه. العشاء المتناغم، الحديث الهادىء، تبادل الآراء المثيرة حول السياسة والأحداث الجارية، أو النقاشات الحيوية حول الكتب والأفلام، أصبحت كلها من الماضي.. ووجدت كاندرة نفسها تحن إلى قدوم الخريف حين ستبدأ الدراسة في جامعة كانيا، ويصبح لديها أصدقاء كي لا تعتمد على كاندرة وريكس لتسليتها. وكان ريكس يبدو مبتهجاً برفقة كانيا.. وتزايدت أكياس واردن على سريرها بعد زيارات متكررة لها إلى هناك.. ولم تنس كاندرة بعد أن ريكس كان قد شاهد صورة كانيا على مكتب أدجر.

في أحد الأيام، وباندفاع رهيب، فتحت كاندرة الدرج الأسفل لخزانة الأدراج الخاصة بريكس.. لكنها ندمت على الفور لو لم تفعل.. فلالة النوم القطنية والروب لم يكونا موجودين، ومنعتها كبرياؤها من سؤال كاتيا عنهما.

حين سمعت إيزابيلا أن كاتيا تقيم معهما دعتها إلى الحفلة.. ولم تعد كاتيا تتكلم عن شيء سوى الحفلة.

قالت وقت الفطور صبيحة الحفلة:

ـ ليس لدي ما أرتديه.

نظرت كاندرة إليها متسلية:

ـ وكل تلك الثياب الجديدة؟

ـ إنها للجامعة. وبما أن ريكس لن يكون هنا إلا قبل موعد الحفلة بقليل، فلماذا لا نذهب لنتسوق ونشتري شيئاً جديداً؟

منذ سافر ريكس في رحلة تستغرق يومين، كادت كاتيا تجر كاندرة إلى الجنون بتمهيدات سأم طويلة، وهي تنتقل من نافذة إلى أخرى.. وأدركت كاندرة أنها تفتقد لنشاطاتها الاجتماعية في توكسون، لذا قالت:

ـ فكرة جيدة.

قادت كاتيا سيارتها رأساً إلى متجر في «كروسرود مول» قائلة:

ـ لهذا المتجر فرع ملابس أفضل.

وسارت مع كاندرة إلى قسم المراهقات. قالت كاندرة بينما كانت كاتيا تقيس أحد الفساتين:

ـ تبدين جميلة جداً.

لكن لم يكن هناك أمل في أن يكون لرأيها وزن، فهي تكرر الجملة منذ ساعتين. وقالت كاتيا:

ـ يجب أن يكون الفستان ملائماً تماماً.. فالليلة هي ظهوري الأول في المجتمع.. ماذا سترتدين أنت؟

ـ لم أفكر بهذا بعد.

صاحت كاتيا:

ـ كاندرة؟ كل هؤلاء الناس يموتون شوقاً للقاء السيدة واردن.. ولا يمكنك أن ترتدي شيئاً قديماً.

نظرت كاندرة إلى كاتيا برعب.. إنها على حق.. ويجب أن تشتري لنفسها فستاناً جديداً.

لكن انتهاء كاتيا من انتقاء ملابسها بدا حلماً مستحيلاً.. ثم جاءت البائعة بفستان وصل إلى المحل لتوه.. فستان زهري مطبع بالورود، وبدا الفستان نضراً وجيلاً جداً على كاتيا.

ـ ما رأيك؟ سآخذه.. لقد أحببته.

انتهدت كاندرة ارتياحاً.

لكن البائعة عادت بعد قليل لتعتذر:

ـ أنا آسفة جداً إذ يبدو أن الآنسة فولكنر تجاوزت حدود حسابها.. ولن نستطيع قبول حساب جديد.

شحب وجه كاندرة حرجاً، لكن كاتيا قالت:

ـ طلب مني ريكس أن أضيف هذه الفواتير على الحساب.. ولا أدري كيف صرفت كل هذا المبلغ..

نظرت إلى الفستان بشوق والتفتت إلى أختها:

ـ سأجد شيئاً أرتديه في خزانتي.. هيا نجد لك فستاناً كاندرة.

فابتلعت كاندرة ريقها وقالت:

ـ خذي الفستان كاتيا.. سأدفع لك ثمنه. لا أريد الاستعجال في انتقاء الفستان.. ويراودني بحاجة إلى الرياضة اليوم، فعودي إلى المنزل وسيقلني جوتو حين أنتهي.

بعد ساعات، وهي تتفحص نفسها في المرآة كانت لا تزال تكرر أمام نفسها أنها اشترته كي تنافس به شباب كاتيا في نظر ريكس. لقد اشترته لسبب واحد.. لتقنع ريكس أن زوجته ليست ملة متزمتة كما يظنها، وأن كاندرة المتزمتة، أمينة المكتبة الكفوءة قد ولت وحل مكانها امرأة بشعر أحمر

يصل إلى تحت الكتفين، مفصوص ومسرّح على يد أفضل مزينة تقدمة محلات واردن.. لقد استغلت اسمها بكل ما في الكلمة من معنى في المحل، وستحس بالإحراج فيما بعد.. أما الآن فكل ما يهمها هو ردة فعل ريكس.

لسوء الحظ ستكون هذه ردة فعل متأخرة.. وجدت ملاحظة على طاولة زينتها من كانيا تقول إن ريكس سيتأخر وإن عليهما الذهاب إلى الحفلة من دونه. وتحرقت شوقاً إلى أن ترى تعابير وجهه حين تقع عيناه على فستانها، ولم تستطع سوى العودة إلى خيالاتها وهي في الكوخ معه، وضحكت.. إنها اليوم فعلاً الجاسوسة الروسية.

كانت ردة فعل كانيا كل ما يتمناه المرء، فقد شهقت:

ـ أوه كاندرة.. لم أعرفك بهذا الجمال.

ليت ردة فعل ريكس تكون مرضية هكذا!

لم تشاهده يصل إلى الحفلة، لكنها فجأة أحست بقشعريرة على ظهرها أنبأتها أنه هناك.. يراقبها.. كانت تسمع بين الحديث الجذل والتحيات المرحبة نبرة صوته المنخفضة، وكبتت الاندفاع الذي كان يحثها على الذهاب إليه.. أخيراً، أصبحت الحاجة لرؤيته أكبر من مقاومتها، واستدارت.

كان منشغلاً في حديث عميق مع ذات شعر بني رشيقة وظهره لكاندرة، وانقبض قلبها.. فهو لم يكن ينظر إليها، بل إنه ربما لم يرها.. ولم يبحث عنها بالتأكيد.. ابتسمت المرأة له.. ابتسامة مثقلة، حتى إن كاندرة تاقت لأن تخدش لها وجهها.. لكنها لم تجرؤ على الانضمام إليهما.

الحفلة التي بدأت مبهجة مرحة انقلبت إلى مزعجة صاخبة. كان الدخان المتصاعد من السجائر يتجمع حول رأسها ويكاد يخنقها.. حين تجرأت أن تنظر مرة أخرى لم تر ريكس في المكان. وكانت بنية الشعر توزع ابتساماتها على شخص آخر.

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل حين صعدت كاندرة الدرج على رؤوس أصابعها خلف كانيا.. كان ريكس قد غادر الحفلة تاركاً مذكرة لها مع إيزابيلا تقول إنه متعب ولن يبقى.. منعتها كرامتها من الإسراع في

العودة إلى المنزل.. فلو أرادها ريكس أن تغادر معه لكان طلب منها هذا.. دخلت إلى غرفة النوم بهدوء حاملة حذاءها بيدها لئلا توقظه.

ـ هل أمضيت وقتاً طيباً؟

جاءت اللهجة الباردة كصدمة لها، وبينما وقف ريكس من على مقعده، رمت كاندرة حذاءها إلى الأرض بصوت مرتفع:

ـ ريكس! لقد أجفلتني.. لم أكن أتوقع..

قاطعها.

ـ أعرف هذا.. غاب القط فالعب يا فأر. أليس كذلك؟

ـ أنا.. لا أعرف.. ما.. ماذا تعني.

ـ لا تتلاعبي معي.. لقد رأيتك في الحفلة تتحدثين إلى أحد الرجال.

اقترب منها، وقال بصوت ملؤه الشر:

ـ هل هذا فستان آخر لجدتك؟

صاحت:

ـ ريكس! ما بالك؟

ـ كنت تمثلين دوراً جيداً حراء.. حتى كدت أنسى المال الذي سرقته مني في الكوخ.. لكن هذه هي كاندرة فولكنر الحقيقية.. أليس كذلك؟ كيف لي أن أتجاهل الطريقة التي عرفت فيها فجأة الكثير عن الحياة الزوجية بعد الزواج؟

ـ لقد شرحت لك..

ـ وصدقتك.. لأنني أبله.. هناك كلمة تصف امرأة مثلك.

ارتد الاتهام الرهيب البشع يهاجم كاندرة تكراراً وهي تقف مسمرة رعباً، غير قادرة على تصديق ما تسمعه، لا بد أن ريكس تعرض لحادثة.. ضرب رأسه بشيء.. أو أنه يهلوس.

همست مرتجفة:

ـ هل أنت بخير؟ هل حصلت لك حادثة؟

ـ حادثة..! هذا كثير حراء.. هذا كثير!

أمسك ذراعها يلويه خلف ظهرها وأجبرها على الوقوف:

- الحادثة الوحيدة التي حصلت لي في حياتي كانت أنني التقيتك.. كان يجب أن أتركك في الثلج حيث وجدتك.

هزت رأسها بجنون وكأنها تنفض كابوساً عنها.

- أنت لا تعني هذا..

أمسكت أصابع فولاذية برأسها وقال بصوت ملىء بالقسوة والشر:

- كم أرغب في أن أقتلع هذا الشعر الأحمر من الجذور..

وتغير صوته ليصبح بارداً:

- لماذا قصصته؟

نظرت إليه، وحملت يده التي تشد شعرها الدموع إلى عينيها:

- ظننت أنك ستعجب بزوجة أكثر أناقة.

- كاذبة.. تعرفين أنني أحبه طويلاً، وأحب أن أتلاعب به.

دفعها عنه بعيداً فوقعت بشدة فوق السرير. ثم أدار ظهره إليها وقال بصوت بارد دون أحاسيس وكأنه صوت رجل غريب.

- كنت أجلس هنا أفكر ماذا سأفعل.

كبحت دموعها وردت بصوت ضعيف:

- سوف أرحل.

ضحك بشاعة:

- لا.. لن ترحلي حمراء.. أتذكرين أدجر، أخاك اللص، أنا أملكك.. ألا تذكرين؟ وستفعلين ما أريده.

ارتجفت لصوته الأجش.. إنها لا تعرف هذا الغريب: «وماذا تريد؟».

فجأة تلاشى الغضب عن وجهه، وقال بصوت خافت:

- اذهبي إلى النوم.. سنتحدث في الصباح.

سار خارجاً من الغرفة وكتفاه منحنيتان.

- ريكس.. أرجوك..

أقفل الباب خلفه بقوة، يقطع لها رجاءها. لا بد أن شيئاً حدث

وجرحه ليهاجمها بمثل هذا الألم والبؤس. لو أنها فقط تعرف السبب.. لو أنها فقط تجرؤ على الذهاب إليه.. لتخفف العبوس من بين عينيه.. لو أنها فقط تجرؤ على أن تقول له إنها تحبه..

تحبه!

لقد عرفت هذا منذ بعض الوقت.. لكنها كانت خائفة من أن تعترف حتى لنفسها بالحقيقة.. كاندرة المتعقلة.. يا لها من سخرية ضاحكة! لقد فعلت أكثر ما في الدنيا من حماقات.. لقد أحبت زوجها.. الرجل الذي قال لها منذ البداية إن أكثر ما يجذبه إليها هو واقع أنها لا تحبه.. أين هي طبيعتها المتعقلة الشهيرة؟ إنها الآن تحتاج إليها.

لم يأت الصباح معه بالبرودة أو الارتياح، وبدا لها ثوب الحفلة البراق نافر الذوق في الصباح، فخلعته عن جسمها لترميه في سلة المهملات وحق به القرط الذهبي.. ثم ارتدت جينزاً قديماً، وأجبرت نفسها على النزول لتناول الفطور، لتجد ريكس وكاتيا وأدجر حول المائدة بينما البيض واللحم غير ممسوسين في طبقيهما، وكان ريكس ينهي لتوه طعامه.. وجهه لا يقول شيئاً.

ابتلعت ريقها غصباً وحيت الجميع.. ليس لديها رغبة في مناقشة سبب غضب ريكس أمام كاتيا وأدجر.

- أدجر.. متى وصلت إلى هنا؟

- ليلة أمس.. كنت سأجيء إلى غرفتك لأقول لك.. لكنك كنت مشغولة.

رمت كاندرة ريكس بنظرة سريعة، لقد سمعهما أدجر يتشاجران إذن.. وسألت:

- هل هناك شيء خاطىء في قطورك.. بإمكان ماورين أن تعد لك شيئاً آخر.

رد أدجر متحدياً:

- لن آكل من طعامه!

يصل إلى تحت الكتفين، مفصوص ومسرّح على يد أفضل مزينة تقدمة محلات واردن.. لقد استغلت اسمها بكل ما في الكلمة من معنى في المحل، وستحس بالإحراج فيما بعد.. أما الآن فكل ما يهمها هو ردة فعل ريكس.

لسوء الحظ ستكون هذه ردة فعل متأخرة.. وجدت ملاحظة على طاولة زينتها من كانيا تقول إن ريكس سيتأخر وإن عليهما الذهاب إلى الحفلة من دونه. وتحرقت شوقاً إلى أن ترى تعابير وجهه حين تقع عيناه على فستانها، ولم تستطع سوى العودة إلى خيالاتها وهي في الكوخ معه، وضحكت.. إنها اليوم فعلاً الجاسوسة الروسية.

كانت ردة فعل كانيا كل ما يتمناه المرء، فقد شهقت:

ـ أوه كاندرة.. لم أعرفك بهذا الجمال.

ليت ردة فعل ريكس تكون مرضية هكذا!

لم تشاهده يصل إلى الحفلة، لكنها فجأة أحست بقشعريرة على ظهرها أنبأتها أنه هناك.. يراقبها.. كانت تسمع بين الحديث الجذل والتحيات المرحبة نبرة صوته المنخفضة، وكبتت الاندفاع الذي كان يحثها على الذهاب إليه.. أخيراً، أصبحت الحاجة لرؤيته أكبر من مقاومتها، واستدارت.

كان منشغلاً في حديث عميق مع ذات شعر بني رشيقة وظهره لكاندرة، وانقبض قلبها.. فهو لم يكن ينظر إليها، بل إنه ربما لم يرها.. ولم يبحث عنها بالتأكيد.. ابتسمت المرأة له.. ابتسامة مثقلة، حتى إن كاندرة تاقت لأن تخدش لها وجهها.. لكنها لم تجرؤ على الانضمام إليهما.

الحفلة التي بدأت مبهجة مرحة انقلبت إلى مزعجة صاخبة. كان الدخان المتصاعد من السجائر يتجمع حول رأسها ويكاد يخنقها.. حين تجرأت أن تنظر مرة أخرى لم تر ريكس في المكان. وكانت بنية الشعر توزع ابتساماتها على شخص آخر.

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل حين صعدت كاندرة الدرج على رؤوس أصابعها خلف كانيا.. كان ريكس قد غادر الحفلة تاركاً مذكرة لها مع إيزابيلا تقول إنه متعب ولن يبقى.. منعتها كرامتها من الإسراع في

العودة إلى المنزل.. فلو أرادها ريكس أن تغادر معه لكان طلب منها هذا.. دخلت إلى غرفة النوم بهدوء حاملة حذاءها بيدها لئلا توقظه.

ـ هل أمضيت وقتاً طيباً؟

جاءت اللهجة الباردة كصدمة لها، وبينما وقف ريكس من على مقعده، رمت كاندرة حذاءها إلى الأرض بصوت مرتفع:

ـ ريكس! لقد أجفلتني.. لم أكن أتوقع..

قاطعها.

ـ أعرف هذا.. غاب القط فالعب يا فأر. أليس كذلك؟

ـ أنا.. لا أعرف.. ما.. ماذا تعني.

ـ لا تتلاعبي معي.. لقد رأيتك في الحفلة تتحدثين إلى أحد الرجال.

اقترب منها، وقال بصوت ملؤه الشر:

ـ هل هذا فستان آخر لجدتك؟

صاحت:

ـ ريكس! ما بالك؟

ـ كنت تمثلين دوراً جيداً حراء.. حتى كدت أنسى المال الذي سرقته مني في الكوخ.. لكن هذه هي كاندرة فولكنر الحقيقية.. أليس كذلك؟ كيف لي أن أتجاهل الطريقة التي عرفت فيها فجأة الكثير عن الحياة الزوجية بعد الزواج؟

ـ لقد شرحت لك..

ـ وصدقتك.. لأنني أبله.. هناك كلمة تصف امرأة مثلك.

ارتد الاتهام الرهيب البشع يهاجم كاندرة تكراراً وهي تقف مسمرة رعباً، غير قادرة على تصديق ما تسمعه، لا بد أن ريكس تعرض لحادثة.. ضرب رأسه بشيء.. أو أنه يهلوس.

همست مرتجفة:

ـ هل أنت بخير؟ هل حصلت لك حادثة؟

ـ حادثة..! هذا كثير حراء.. هذا كثير!

أمسك ذراعها يلويه خلف ظهرها وأجبرها على الوقوف:

- الحادثة الوحيدة التي حصلت لي في حياتي كانت أنني التقيتك.. كان يجب أن أتركك في الثلج حيث وجدتك.

هزت رأسها بجنون وكأنها تنفض كابوساً عنها.

- أنت لا تعني هذا..

أمسكت أصابع فولاذية برأسها وقال بصوت ملىء بالقسوة والشر:

- كم أرغب في أن أقتلع هذا الشعر الأحمر من الجذور..

وتغير صوته ليصبح بارداً:

- لماذا قصصته؟

نظرت إليه، وحملت يده التي تشد شعرها الدموع إلى عينيها:

- ظننت أنك ستعجب بزوجة أكثر أناقة.

- كاذبة.. تعرفين أنني أحبه طويلاً، وأحب أن أتلاعب به.

دفعها عنه بعيداً فوقعت بشدة فوق السرير. ثم أدار ظهره إليها وقال بصوت بارد دون أحاسيس وكأنه صوت رجل غريب.

- كنت أجلس هنا أفكر ماذا سأفعل.

كبحت دموعها وردت بصوت ضعيف:

- سوف أرحل.

ضحك بشاعة:

- لا.. لن ترحلي حمراء.. أتذكرين أدجر، أخاك اللص، أنا أملكك.. ألا تذكرين؟ وستفعلين ما أريده.

ارتجفت لصوته الأجش.. إنها لا تعرف هذا الغريب: «وماذا تريد؟».

فجأة تلاشى الغضب عن وجهه، وقال بصوت خافت:

- اذهبي إلى النوم.. سنتحدث في الصباح.

سار خارجاً من الغرفة وكتفاه منحنيتان.

- ريكس.. أرجوك..

أقفل الباب خلفه بقوة، يقطع لها رجاءها. لا بد أن شيئاً حدث

وجرحه ليهاجمها بمثل هذا الألم والبؤس. لو أنها فقط تعرف السبب.. لو أنها فقط تجرؤ على الذهاب إليه.. لتخفف العبوس من بين عينيه.. لو أنها فقط تجرؤ على أن تقول له إنها تحبه..

تحبه!

لقد عرفت هذا منذ بعض الوقت.. لكنها كانت خائفة من أن تعترف حتى لنفسها بالحقيقة.. كاندرة المتعقلة.. يا لها من سخرية ضاحكة! لقد فعلت أكثر ما في الدنيا من حماقات.. لقد أحبت زوجها.. الرجل الذي قال لها منذ البداية إن أكثر ما يجذبه إليها هو واقع أنها لا تحبه.. أين هي طبيعتها المتعقلة الشهيرة؟ إنها الآن تحتاج إليها.

لم يأت الصباح معه بالبرودة أو الارتياح، وبدا لها ثوب الحفلة البراق نافر الذوق في الصباح، فخلعته عن جسمها لترميه في سلة المهملات وحق به القرط الذهبي.. ثم ارتدت جينزاً قديماً، وأجبرت نفسها على النزول لتناول الفطور، لتجد ريكس وكاتيا وأدجر حول المائدة بينما البيض واللحم غير ممسوسين في طبقيهما، وكان ريكس ينهي لتوه طعامه.. وجهه لا يقول شيئاً.

ابتلعت ريقها غصباً وحيت الجميع.. ليس لديها رغبة في مناقشة سبب غضب ريكس أمام كاتيا وأدجر.

- أدجر.. متى وصلت إلى هنا؟

- ليلة أمس.. كنت سأجيء إلى غرفتك لأقول لك.. لكنك كنت مشغولة.

رمت كاندرة ريكس بنظرة سريعة، لقد سمعهما أدجر يتشاجران إذن.. وسألت:

- هل هناك شيء خاطىء في قطورك.. بإمكان ماورين أن تعد لك شيئاً آخر.

رد أدجر متحدياً:

- لن آكل من طعامه!

قالت كاتيا بصوت منخفض:

- وأنا كذلك.. ويمكنه استرداد سيارته وكل شيء.. أنا راحلة، لكن قبل هذا لدي شيء واحد أقوله له.

نظرت إلى طبقها وقالت:

- لقد كذبت على كاندرة يوم أمس، ادعيت أمامها أنك قلت لي أن نذهب إلى الحفلة وأنك ستلحق بنا إلى هناك.

قال بصوت كحد السوط:

- كاندرة.. هل هذا صحيح؟

نظرت إليه:

- طبعاً صحيح. وهذا ما حدث.. فقد جئت فيما بعد. ما بالكم جميعاً؟

قال أدجر بصوت مثقل:

- الخطأ كاندرة كان في زواجك منه.. كان يجب أن أعرف.. مع أنني شككت.. لكن.. أردت أن أصدق.. أردت أن أقنع نفسي..

ابتسم لكاندرة ابتسامة متكسرة:

- جئت لأقول لك إنني سأتزوج.. لكن اعتقد أن على هذا أن ينتظر.. أنت ستتركينه.. الآن، اليوم، وستعودين معنا إلى توكسون.

نظر ريكس إلى أدجر نظرة استغراب:

- حتى ولو كان هذا يعني السجن لك؟

صاحت كاندرة، وكاتيا إلى جانبها تنتحب: «لا».

شحب وجه أدجر، لكنه رفع ذقنه متحدياً:

- لن أهتم لو ذهبت إلى السجن.. فلن أتركك تعذبها أكثر من هذا.

- وماذا عنك كاتيا؟ هل ستتخلين حقاً عن سيارتك الجديدة.. ثيابك الجديدة.. وتعليمك الجامعي؟

- كاندرة تعني لي أكثر بكثير من كل هذا.. أدجر وأنا نحب كاندرة.. أما أنت فلا تحبها.

رد يقرر أمراً واقعاً: «بل.. أحبها».

استدارت ثلاثة أزواج عيون مذهولة إليه، وبدأت كاتيا وأدجر يصيحان به، يذكرانه بكل الأشياء التي قالها لكاندرة ليلة أمس.. وهذا برهان على أن الشجار بأكمله كان مسموعاً. وحاول ريكس تهدئتهما.. أخيراً عيل صبره فانضم إليهما في الصراخ.. بينما جلست كاندرة مصدومة.

نظر إليها ريكس وقال:

- فمك فاغر حمراء.

كانت الكلمات غير المحبة من رجل ادعى لتوه حبها، القشة التي قصمت ظهر البعير.. وانفجرت بالدموع.

رعد ريكس صارخاً:

- الجميع إلى الخارج.. الآن!

عوّلت كاتيا برعب:

- لكن كاندرة لا تبكي أبداً! لم تبك حين ماتت أمي وأبي، لم تبك حين ماتت جدتي، ولا حين أخذ أدجر المال.. مهما ساءت الأمور، هي لا تبكي.. وهكذا كنت دائماً أعرف أن الأمور ستكون على ما يرام.. وأن كاندرة ستهتم بكل شيء.

لم تستطع كاندرة التوقف عن البكاء.. طوال الوقت كانوا يتحركون حولها ويهمسون، وطوال الوقت كان النحيب يهز جسدها بينما أعمتها الدموع الجارية على وجهها عن رؤية صاحب الذراعين القويتين الذي رفعها عن الكرسي وحملها إلى سريرها.. التفت بطانية حولها وجاءت بالمزيد من الدموع. وراحت تبكي بشدة وتنتحب إلى أن ثقلت أجفانها المتورمة.

كانت الستائر السميكة تحجب معظم أشعة الشمس، لكن كاندرة قدرت أن الوقت هو منتصف النهار حين استيقظت ووجدت نفسها وحيدة في سرير كبير.. كل ما حدث لم أمامها ولم تستطع كبح تنهيدة قوية.

كان ريكس يجلس على كرسي في الغرفة:

- استيقظت حمراء؟ كيف تشعرين؟

ـ رهيبة.. عطشى.. هل كنت تعني ما قلت؟

ـ حين قلت إنني أحبك؟ طبعاً!

وجاءها بكوب ماء فأمسكته بكلتي يديها لتشرب بعطش، ألمها حلقها الجاف فأعادت إليه الكوب.

ـ لماذا لم تقل لي هذا من قبل؟

استلقى فوق الأغطية إلى جانبها:

ـ كنت أخشى أن تهربي مني كما فعلت في الكوخ.. أيمكن للآنسة فولكنر المتعقلة أن تصدق أن رجلاً ألقى نظرة واحدة على نارية الشعر ووقع فوراً في حبها؟

ـ لا.. ولا أصدق هذا الآن.

ـ ولم أصدق أنا في البداية.. ألقيت اللوم في ذلك الإحساس الغريب على شعرك الأحمر الذي أشعل كياني.. وبالتأكيد، أعجبت جداً بالطريقة التي عالجت فيها موقفاً غير مريح، ولم تظهري أي مستبربا.. ومن القليل الذي اكتشفته عن عائلتك وخلفيتك، جمعت صورة امرأة ناجحة جداً في أسوأ ما يمكن للحياة أن ترميه في وجهها.

ـ لم أكن ناجحة إلى هذا الحد.

ـ بل جيدة بما يكفي لأن أؤمن أنك ستكونين زوجة عظيمة لرجل محظوظ وأماً رائعة لأولاد رائعين.. وبالطبع، لم أكن أنوي أن أكون أنا ذلك الرجل.

ـ لا.. بل أردت علاقة عابرة معي فقط.

ـ لن أنكر هذا.. لكن ما آمنت به حقاً هو أن أمامي امرأة ليست كغيرها من النساء. أردت أن أعرف المزيد عنك.. حين استيقظت ذلك الصباح وكنت قد ذهبت.. ظننتك خرجت لتتمشي مع براوني.. وفيما جلست بانتظار عودتك رحت أضع خططاً لنا لنتعرف أكثر ونترك صداقتنا تنضج بشكل طبيعي، لنرى ماذا سيخرج منها.. ويمكنك تصور مشاعري حين أدركت أخيراً أنك رحلت.

ـ لا بد أنك كنت سعيداً بالخلاص مني حين وجدت مذكرتي حول أخذي مالك.

هزها قليلاً:

ـ أهذا ما تظنين؟ أتصدقين أنني عدت رأساً إلى بولدر.. وبدأت التفتيش عنك؟

أدارت عينين مغفلتين عنه:

ـ لا.. لم تفعل؟

ـ تذكرت أنك تلفظت بكلمة توكسون مرة، فطلبت من سكرتيرتي الاتصال بكل المكتبات التي تجدها في توكسون بحثاً عن أمينة مكتبة اسمها كاندرة.. ولم أفكر أبداً بمكتبات المدارس.. ودون اسم العائلة لم يكن هناك فائدة من الاستعلام عبر الهاتف.. حتى إن مكتب توكسون مل من ظهوري فيه وأنا آمل أن أجدك. حتى إنني ذهبت مرة إلى «تومبستون» لأنك لفظت حرفي «تو» فقط.. وكانت مجرد ضربة حظ أن أرى صورتك ذلك اليوم على منضدة أدجر.

جلست مصدومة: «صورتي؟!».

أعادها ريكس لتستلقي مجدداً:

ـ لمَ الدهشة؟ لا بد أن أدجر أخبرك أنني أردت رؤيتك.

ـ ظننا أنك تريد رؤية كاتيا.. قال أدجر إنك رأيت صورتها.

ـ أعجب لماذا ظن هذا. كانت صورتك أمام شجرة نخل ضخمة تضحكين فيها للكاميرا.

كبتت دموعها:

ـ هذا ألطف شيء قاله أحد عني يوماً.

ـ إنك تضحكين للكاميرا؟

ـ لا.. بل لأنك رأيتني بدلاً من كاتيا.. كانت تقف إلى جانبي تماماً.. لهذا ظن أدجر أنك تعنيها.. إنها الجميلة في العائلة.

ـ كاتيا؟ إنها مجرد شقراء ظريفة أخرى.. بينما أنت.. تقطعين

الأنفاس بجمالك.. ألم يقل لك أحد هذا من قبل؟

هزت رأسها كالبكماء فمنعها صدمتها من أن تنطق بكلمات.. وضحك:

- على الأرجح لم يلاحظ أحد هذا نظراً للطريقة التي تربطين فيها شعرك وتلك النظارات الكبيرة.

ذكرها كلامه بشيء:

- إذا كنت تريد أن تراني، فلماذا لم تحاول معرفة من أكون؟

- بالطبع عرفت.. أردت فقط أن أعرف سبب هربك. لقد نسيت أن الطريقة الوحيدة التي سأراك فيها هي وشعرك مفروش على الوسادة أو مربوط إلى الخلف بشريط حذاء.. ولم أدرك إلى أن أمضيت وقتاً مع كاتيا أن الجميع ينظر إلى شعرك وكأنه عيب فيك.

نظر إلى شعرها وقال بصوت مختنق:

- سأفتقد إلى مداعبتك به.

- سبنمو.. لماذا تزوجتني؟

- لأنني لم أشأ أن أفقدك ثانية.. لقد فكرت بكل الساعات التي قضيتها في البحث عنك وأنت تحت أنفي طوال الوقت، كنت أخشى أن تكوني وجدت شخصاً غيري.. أنت لي. وكم أحسست بالراحة حين رأيتك دون خاتم في إصبعك وصممت في تلك اللحظة أن أتزوجك.. وليما بعد أجعلك تقعين في حبي.

قالت ساخرة:

- لهذا كان اللقاء المحب حين وصلت إلى مكتبك؟ لماذا لم تقل لي هذا بعد زواجنا؟

- تباً حمراء.. كيف أقول لك إنني أحبك وأنت توضحين أنك تزوجتني لتنقذي أخاك؟ كنت متوترة جداً ولم تهيأي المنزل.

- ماذا؟

- لم تعيدي ترتيب المنزل.. كان كل أصدقائي يتذمرون من أن أول شيء

فعلته زوجاتهم بعد الزواج هو قلبهن المنزل رأساً على عقب، بإعادة تصميم ديكوره لجعله كما يردنه.. لكن، أنت لا.. وبقيت أقترح عليك هذا بقولي: ورق جدران أو شيء ما.. بدلاً من هذا تعاملت مع البيت وكأنه مسكن مؤقت لك.

- ظننتك تحبه هكذا.

هز كتفيه:

- قبل أن تتزوج كنت أمضي معظم وقتي خارج المنزل.. وكانت فكرة ميلاني تغيير ديكور المنزل..

ضمت الشرشف بين أصابعها:

- تعتقد إيزابيلا أنك تركتها تقوم بالديكور.. لأنك.. أنت وهي...

- أنا وميلاني؟ لقد كانت علاقتنا دائماً علاقة عمل.

- إذن لمن كانت غلالة النوم؟

- أي غلالة نوم؟

- الذهبية في درجك.. لم أكن أتطفل.. كنت فقط أضع بعض الملابس النظيفة..

- وعلى الفور قفزت إلى الكثير من الاستنتاجات.

- حسناً.. كان من الواضح أنها لم تكن لي.

ضحك:

- بل إنها لك تماماً.. أتصدقين أنني اشتريت لك ثلاثة أثواب نوم؟ اقتنعت بواحدة لأنها «عراسية».. لكنني لم أقتنع بأنها تناسبك.. فأرجعتها.. الذهبية كان عليها اسمك، ولقد صدمت البائعة حين اشتريتها ولم يكن لدي الجرأة لأن أعطيها لك.. وكانت الخوخية الأبسط مقارنة بغيرها.

- ظننتك اشتريتها لأنها محتشمة.. لقد سئمت من قولك لي كم أنا متعقلة.

- حبيبتي.. هذه إحدى الصفات التي أحبها فيك.. كنت قد سئمت

من النساء السخيفات.. وإنني أحب أمي وإيزابيلا.. لكنهما ليستا سوى فراشتين.. بإمكانك السيطرة عليهما.. وكانتا تكادان تجنناني.

- لقد غرت كثيراً حين دعوت كاتيا بالفراشة، وتشبيهي بالنحلة.. كان.. كان..

- لعملها الجاد والاعتماد عليها؟

- أجل.

- وهذا ما كنت أبحث عنه تماماً في زوجة. وهو أول شيء لاحظته فيك.. الواقع.. إنه الثاني.

شدها متعمداً بخصلة شعر أحر:

- ثم ما هو أول شيء تفكرين به عن النحل؟

- إنها تلسع.

ضحك وهو يغمرها بنظراته.

قالت بذعر:

- ريكس.. ما جرى ليلة أمس..

- لقد أعدت تعليق الفستان.

- تعرف ما أعني.

تنهد:

- تربدين معرفة سبب تصرفي كرجل مجنون. بعد أن اتصلت بالمنزل، أنهيت عملي باكراً وأسرعت إلى البيت لأجد أدجر وحده هنا.. وبدا لي طبيعياً أن تكوني ذهبت إلى الحفلة، لأنني أعرف مدى الضغط الذي تستطيع إيزابيلا أن تمارسه.. لكن، حين دخلت ورأيت كم كنت رائعة، وفكرت أنك تكبدت كل هذا العناء من أجل شخص آخر بما أنك تعرفين أنني لن أكون هناك.. أعتقد أن من العدل القول إن غيرة غاضبة اجتاحتني.. فهذا الجانب الرائع منك هو لي، ولي وحدي.. وأردت أن أضرب ذلك الشاب الذي كنت تتحدثين إليه إلى درجة أنني قررت أن من الأفضل العودة إلى البيت. ثم جلست هنا أفكر باكتئاب، ولم تأتي.. وتعرفين ما حدث بعدها.

- لست أدري لماذا كذبت كاتيا.

- شرحت هذا لي.. كاتيا شخص اجتماعي أكثر منك، وكانت تخشى من أن أبقيك في البيت أكثر من اللازم.. أرادتك أن تخرجي وتتمتعي بوقت طيب.. وخشيت أكثر أن ترفضي الذهاب لو عرفت أنني قد لا أعود ليلة أمس.

- ريكس.. ماذا عن كاتيا وأدجر؟

- كل شيء على ما يرام.. ولا تغضبي لعدم استشارتي لك فأنت لم تكوني في وضع يؤهلك لاتخاذ القرار..

- حسن جداً.. لكن إذا لم يعجبني ما فعلت..

ضحك:

- كما قلت لك من قبل، صديقة أدجر وضعته على الطريق المستقيم.. والزواج قريباً، كما أعتقد.. كنت قاسياً عليه وقت الفطور، لكنني أردتك أن ترى أنه وكاتيا يهتمان بك كثيراً.. كنت مخطئاً في محاولة إقناعك بأنهما لا يحبانك. وبسبب حبي لك، كان يجب أن أدرك أنه لا يمكنهما إلا أن يحباك أيضاً.

طبع قبلة على جبينها:

- أما كاتيا.. أتذكرين السيدة والكر في المتجر؟ لدى ابنتها شقة قرب الجامعة وهي تبحث عمن تشاركها السكن فيها.. إنها فتاة لطيفة وسيكون تأثيرها جيداً على كاتيا.. بهذه الطريقة ستكون كاتيا قريبة منا بما يكفي كي تراقبها، لكن بعيداً عن طريقنا يومياً.

- ظننتك تحب وجودها هنا.

- وما الذي أعطاك هذه الفكرة السخيفة؟

- كنت تمضي وقتاً طويلاً معها.

- فكرت أن أتحمل شيئاً من المسؤولية في تسليتها.. عادة، كنت أتركها تفعل ما تشاء في المتجر، ومعها بطاقة اعتماد.

ثم أردف قائلاً:

- يكفي كلاماً عنهما. . لقد استحوذا على الكثير من وقتنا واهتمامنا.

وأدار اهتمامه إلى أمور أكثر أهمية. وعكست المرآة صورتيهما فرأت كاندرة عينيها تنفتحان باتساع وإشراق في وجهها الشاحب ورأس ريكس الأسود الشعر قريباً منها. . ماذا سيكون شكل أولادهما؟ ووقع شعاع نور شارد فوق المستطيل الباهت على الجدار فوقهما. . بقي سؤال واحد يجب أن تعرف الجواب عنه.

- ريكس! أخبرني ما كانت الصورة!

ضحك متسائلاً:

- ألا تعرفين حمراء؟ إنها الصورة التي في المتجر. شاهدتها في متجر للأنتيكات بعد أن التقينا. كانت بشعرها الأحمر تذكرني بك. . لكن عندما حصلت على الشخصية الحقيقية لم أعد بحاجة إليها.

- ألهذا السبب علقت إيزابيلا وميلاني على شعري الأحمر باستغراب؟

- آه. . أتذكرين، حمراء، سؤالي لك ما هو أول شيء يتبادر إلى ذهنك حين تفكرين بالنحلة؟ لقد كنت محقة في قولك إنها تلسع.

ضحك ضحكة منخفضة ساخرة:

- إنه العسل. . النحل يعطينا العسل

ردت بائسة: «ريكس. . .»

قال بصوت ملىء بسخط محب:

- ما الأمر هذه المرة؟

- أحبك.

- وأنا أحبك حمراء. . والآن لنتكلم عن ذلك العسل. .

• • •